دليلك إلى
الفراسة

اسم الكتاب: دليلك إلى الفراسة

تأليف فضيلة الشيخ : فيصل الحاشدي

رقم الإيداع: ٩٨٨٩ /٢٠٢٢.

نوع الطباعة: لون واحد.

عدد الصفحات: ١٤٤ .

القياس: ١٧X٢٤.

تجهيزات فنية:

مكتب دار الإيمان للتجهيزات الفنية

أعمال فنية وتصميم الغلاف أ / يسري حسن .

٢٠٢٢

الإدارة

١٧ شارع خليل الخياط - مصطفى كامل - الإسكندرية.

تليفاكس: ٥٤٥٧٧٦٩ - ٥٤٤٦٩٦

المبيعات

١٩ شارع خليل الخياط - مصطفى كامل - الإسكندرية.

تليفاكس: ٥٤٥٧٧٦٩ - ٥٢٢٢٠٠٢

E-mail dar_aleman@hotmail.com

فرعنا في الجمهورية اليمنية

دار الإيمان المتحدة

أمام مستشفى الصوفي - أسفل مدارس اليمن الحديثة

مقابل بنك سبأ - شارع رداع - محافظة ذمار

جوال: ٧٧٥٣٠٩٩٣٥

دليلك إلى
الفراسة

تأليف أبي عبد الله
فيصل بن عبره قايد الحاشري
عفا الله عنه

دار القمة
الإسكندرية

دار الإيمان
الإسكندرية

بسم الله الرحمن الرحيم

مُقَدَّمَةُ الطَّبْعَةِ الأُولَى

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

بيضـــاءُ مطعمـــةُ الملاحـــةِ مِثْلُهـــا لَهْـــوُ الجلـــيسِ وغُـــرَّةُ المُتَفَـــرِّسِ[١]

الحمدُ للهِ ربِّ العالمينَ والصلاةُ والسلامُ على أشرفِ المرسلين، وعلى آلِهِ وصحبِهِ أجمعينَ. أما بعدُ:

فقد يَسَّر اللهُ لي - وللهِ الحمدُ - الحياةَ مع كُتُبِ الفِراسَةِ دَهْرًا واجتمعَ لي الكثيرُ فمنْها - بعد تفتيشٍ - كما قال جريرُ: «نَقْطُ عَروسٍ وأبعارُ ظِبَاءٍ»[٢] ومنها: «مَخْشُوبٌ لم يُنَقَّحْ»[٣] فأخذْتُ جَيِّدَها وطرحْتُ ما نَدَّ وشَرَدَ وفرَحْتُ بِصَفْقَةٍ سمَّيتُها: «دليلُكَ إلى الفِراسَةِ» ولا أدَّعي أنِّي بلَغْتُ الغايةَ بل أقولَ: «رَحِمَ اللهُ مَنْ أهدى إليَّ عيوبي»[٤] فـ«قد يَخْرُجُ من الصَّدَفَةِ غيرُ الدُّرَّةِ»[٥].

واللهُ المستعانُ وعليه التَّكْلانُ، وصلَّى اللهُ على نبيِّنا محمدٍ وعلى آلِهِ وصحبِهِ أجمعينَ.

وكَتَبَهُ أبو عبدِ اللهِ: **فيصلُ بنُ عبده قائد الحاشديُّ**

---

(١) معجم الشعراءِ (٤٠٩).

(٢) يُقالُ: إن جريرًا مَرَّ بذي الرُّمَّةِ وهو يُنْشِدُ وقد اجتمعَ الناسُ عليه، فقال هذا المَثَلَ، أي أن هذا الشِّعْرَ مثلُ بَعْرِ الظبي من شَمَّهُ وَجَدَ لَهُ رائحةً طيبةً، فإذا فتَّتَهُ وَجَدَهُ بخلافِ ذلكَ» انظرْ: «مَجْمَعَ الأمثالِ» (٢/ ٣٥٤).

(٣) المخشوبُ: المقطوعُ من الشَّجَرِ قَبْلَ أن يُصْلَحَ، ويقالُ: «سَيْفٌ خَشَبٌ» للذي لم يتمَّ عملُهُ ويُضربُ للشيءِ يُبتدأُ بِهِ ولم يُهَذَّبْ بعدُ. انظرْ: «مجمعَ الأمثال» (٢/ ٢٩١).

(٤) قالها عُمَرُ بْنُ عَبدِ العزيزِ انظر «مجمعَ الأمثالِ» (١/ ٣٤١).

(٥) «مجمعُ الأمثالِ» (٢/ ١٣٦).

مُقَدَّمَةُ الطَّبْعَةِ الثانيةِ

أخو الحزْمِ قد ساسَ الأمورَ وهذَّبَتْ بَصِيرَتُهُ فيها صُرُوفَ النَّوَائِبِ[1]

الحمدُ للهِ ربِّ العالمين والصلاةُ والسلامُ على أشرفِ المرسلين وعلى آلِهِ وصَحْبِهِ أجمعين، أما بَعد:

خَرَجَتِ الطبعَةُ الأولى على عِلَّتِها ولم تَكُنْ نفسي عنها راضيةً وكنتُ عازمًا على إصلاحِها فلبِثْتُ بين التسويفِ والتشاغُلِ حتى قَوَّى من عَزْمي تنبيهاتٌ من طَلَبَةٍ أماجدَ ومشايخَ أفاضلَ فهذَّبْتُ وشذَّبْتُ وحَذَفْتُ وعَدَّلْتُ وبَسَطْتُ واختصَرْتُ حتى رضِيتُ، وأرجو أنْ أنالَ بها رِضا اللهِ ﷻ.

فأتَوسَّل إِلَيْه بأسْمَائِه الْحُسْنَى وَصِفَاتِهِ الْعُلْيَا أنْ يَتَقَبَّلَها بِقبُولٍ حَسَنٍ وَيُنْبِتَها نَباتًا حَسَنًا إنَّ رَبِّي سَمِيعٌ مُجِيبٌ.

وكتبهُ

أبو عبدِ اللهِ

فيصلُ الحاشديُّ

٨ ذو القعدة ١٤٣٩هـ

---

(١) دواوينُ الشعرِ العربيِّ (٢٣/ ٤٩٩).

تعريفُ الفِراسَةِ

بــدا نــورُ صُــبْحٍ بالهُــدَى مُتَــنَفِّسِ فيــا حُسْــنَهُ في أعْــيُنِ المُتَفَــرِّسِ

الفراسةُ في اللغة بِكَسْرِ الفاءِ[١] هي «التَّثَبُّتُ والنَّظَرُ»[٢] قال الزَّبِيدِيُّ: «الفِراسةُ - بالكَسْرِ - اسمٌ من التَّفَرُّسِ وهو التَّوسُّمُ»[٣].

الفِراسةُ - بكسْرِ الفاء - هي: «النظرُ والتَّثَبتُ والتأمُّلُ للشَّيءِ والبَصَرُ بِهِ»[٤].

وهي في الاصْطِلاحِ: «الظَّنُّ الصائِبُ الناشِئُ عن تثبيتِ النَّظَرِ في الظاهِرِ لإدْراكِ الباطِنِ»[٥].

قال الرَّاغِبُ: «الفِراسَةُ هي: الاستدلالُ بهيئاتِ الإنسانِ وأشكالِهِ وألوانِهِ، وأقْوالِهِ على أخلاقِهِ، وفضائِلِه، ورذائِلِهِ»[٦].

أقسامُ الفراسةِ:

١- تقسيمُ ابنِ الأثيرِ.

قسَّمها ابنُ الأثيرِ إلى قِسْمين:

أَحدُهما ما دَلَّ ظاهِرُ هذا الحديثِ عليه. وهو ما يوقِعُه اللهُ - تعالى - في قلوبِ

---

(١) يقابلُ ذلك الفَراسةُ - بفتح الفاء - الثباتُ على الخيلِ، والحِذقُ بأمرِها والعِلمُ بركوبِها. وهي بكسْرِ الفَاء النَّظَرُ والتَّثَبُّتُ، والتأمُّل في الشَّيءِ والبَصَرُ بِهِ.

(٢) «التَّعريفاتُ» للجرجاني (١/ ٢١٢).

(٣) «تاجُ العَروس» (١٦/ ٣٢٨).

(٤) لسانُ العربِ (٦/ ١٥٩).

(٥) الفراسةُ في القرآنِ الكريمِ لعبدِ الشافي الشيخ.

(٦) «مفرداتُ الرَّاغبِ».

أولِيائِهِ، فيَعْلَمون أحوالَ بعضِ النَّاسِ بنوعٍ من الكراماتِ، وإصابةُ الظَّنِّ والحَدْسِ.

والثاني: نوع يُتَعَلَّمُ بالدَّلائِلِ والتجارُبِ والخَلْقِ والأخْلاقِ فتعرفُ به أحوالُ النَّاسِ[١] وللناسِ فيه تصانيفُ قديمةٌ وحديثةٌ.

٢- تقسيمُ المناوي.

وعلى نفسِ التقسيمِ قَسَّمها المناويُّ، فقالَ:

الأولُ: ضَرْبٌ يَحْصُلُ للإنسانِ عن خاطرٍ، لا يُعرَفُ سَبَبُهُ، وهو ضَرْبٌ من الإبهامِ، بل من الوَحْيِ، وهو الذي يُسَمَّى صاحبُهُ: المُحَدَّثُ، كما في خَبَرِ: إن يَكُنْ في هذه الأمَّةِ مُحَدَّثٌ، فهو عُمَرُ» وقد يكونُ بالإلهام حالَ اليقظَةِ أو المَنامِ.

الثاني: يكونُ بصناعةٍ مُتَعَلَّمَةٍ، وهي معرفةُ الألوانِ والأشكالِ، وما بين الأمزْجَةِ والأخلاقِ، والأفعالِ الطبيعيةِ، ومن عَرَفَ ذَلكَ، وكان ذا فَهْمٍ ثاقب قوِيتْ فِراستُهُ»[٢].

٣- تقسيمُ ابنِ القَيِّمِ.

وتنقَسمُ الفِراسَةُ عند ابنِ القَيِّمِ رَحِمَهُ اللَّهُ إلى ثلاثَةِ أَقْسامٍ:

١- فِراسَةٌ إيمانيَّةٌ.

---

(١) «لسانُ العرب» (٦/ ١٥٩١٢)، و«تاج العَروسِ» (٤/ ٥٤).

(٢) «فَيضُ القدير» (١/ ١٨٦).

٢- فِراسَةُ الرِّياضةِ والجوعِ.

٣- فِراسةٌ خَلْقيَّةٌ.

قال رَحِمَهُ اللَّهُ الفِراسةُ ثلاثةُ أنواعٍ:

١- إيمانيَّةٌ، وهي المتكلمُ فيها في هذه المنزلة وسببُها: نورٌ يقذِفُهُ اللهُ في قلبِ عبدِهِ يفرِّقُ بِهِ بينَ الحقِّ والباطِلِ والحالي والعاطلِ والصادقِ والكاذبِ.

وحقيقتُها: أنها خاطرٌ يهجمُ على القلبِ ينفي ما يضادُّهُ، يَثِبُ على القَلبِ كوثوبِ الأسَدِ على الفريسَةِ لكنَّ الفِراسةَ فِعْليةٌ بمعنى مفعولةٌ، وبناءُ الفِراسة كبناءِ الوِلايَةِ والإمارة والسياسة.

وهذه «الفِراسةُ» على حَسْبِ قوةِ الإيمانِ، فمن كان إيمانُهُ أقوى إيمانًا فهو أحَدُّ فِراسةً.

٢- فِراسةُ الرِّياضَةِ.

الفِراسةُ الثانيةُ فراسةُ الرِّياضَةِ، والجوعِ، والسَّهَرِ والتخلِّي؛ فإن النَّفسَ إذا تجرَّدَتْ من العوائِقِ صار لها من الفِراسةِ والكَشْفِ بحسْبِ تجرُّدها، وهذه فِراسةٌ مشتركةٌ بين المؤمِنِ والكافرِ، ولا تدلُّ على إيمانٍ ولا على ولايةٍ، وكثيرٌ من الجُهَّالِ يغترُّ بها.

وللرهبانِ فيها وقائعُ معلومةٌ، وهي فِراسةٌ لا تكْشفُ عن حقٍّ نافعٍ ولا عن طريقٍ مستقيمٍ، بل كَشْفُها جزئيٌّ من جنسِ فِراسَةِ الوُلاةِ، وأصحابِ عبارةِ الرؤيا والأطباءِ ونحوِهم.

٣- فِراسة خَلْقيةٌ.

الفِراسةُ الثالثةُ الفراسةُ الخَلْقيةُ وهي التي صَنَّفَ فيها الأطباءُ وغيرُهم واستدلَّوا

بالخَلْق على الخُلُق لما بينَهما من الارْتباطِ الذي اقْتَضَتْهُ حكمةُ اللهِ، كالاستدلالِ بصِغَرِ الرأسِ الخارجِ عن العادةِ على صِغَرِ العَقْلِ، وبِكِبَرِهِ على كِبَرِهِ وبسَعَةِ الصَّدْرِ، وبُعْدِ ما بين جانبيه: على سَعة خُلُقِ صَاحِبِهِ، واحتمالِهِ وبَسْطَتِهِ. وبضيقِهِ على ضِيقِهِ، وبخمودِ العَين وكلالِ نظرِها على بلادَةِ صاحبِها، وضَعفِ حرارةِ قلبِهِ، وبشدَّةِ بياضِها مع إشرابِهِ بحُمْرةٍ - وهو الشَّكلُ - على شجَاعتِهِ وإقْدامِهِ وفِطْنَتِهِ تبد يدها مع حُمرتِهَا وكثرة تقلُّبها على خيانتِهِ ومكْرِهِ وخداعِهِ ومعظَمُ تعلُّقِ الفِراسةِ بالعين فإنها مرآةُ القلبِ وعنوانُ ما فيه ثم باللسانِ. فإنه رسولُهُ وترجمانُهُ، وبالاستدلالِ بزُرْقَتِها مع شَقْرَةِ صاحبِها على رداءَتِهِ، وبالوَحْشَةِ التي ترى عليها على سوءِ داخِلِهِ وفسادِ طَوِيَّتِهِ.

وكالاستدلالِ بإفراطِ الشَّعَر في السُّبُوطةِ على البلادةِ، وبإفراطِهِ في الجُعُودِ على الشَّرِّ، وباعتدالِهِ على اعتدالِ صاحِبِهِ(١).

الفِراسةُ في القرآن

قُـــبحٌ لِمَـــنْ نَبَـــذَ القُـــرآنَ وراءَهُ وإذا اســتدلَّ يقــولُ قــال الأخْطَــلُ(٢)

ذَكَرَ اللهُ ﷻ الفِراسَةَ في القرآنِ الكريمِ في مواضِعَ منها:

قال اللهُ ﷻ: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَٰتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ ﴿٧٥﴾﴾ [الحِجْرُ: ٧٥].

ذَكَرَ عددٌ من أهْلِ العلمِ أنَّ هذهِ الآيةَ عن أهلِ الفِراسَةِ.

---

(١) مدارجُ السَّالكين (٣/ ٣٦٠ - ٣٦٦) باختصارٍ يسيرٍ.

(٢) مجموعة القصائد الزهدية (٢/ ٤٢٦).

قال مجاهِدٌ رَحِمَهُ اللَّهُ: «للمتفرِّسين»(١).

وقال ابنُ جزيٍّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «للمتوسِّمين أي للمتفرِّسين، ومنهُ فراسةُ المؤمنِ»(٢).

وقال اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَلَوْ نَشَآءُ لَأَرَيْنَٰكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُم بِسِيمَٰهُمْ ۚ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِى لَحْنِ ٱلْقَوْلِ ۚ﴾ [محمد: ٣٠].

قال ابنُ القيمِ رَحِمَهُ اللَّهُ: «الأَوَّلُ فِراسَةُ النَّظَرِ والعَينِ، والثاني فِراسَةُ الأُذُنِ والسَّمْعِ»(٣).

الفراسةُ في السُّنَّةِ

اتْبَعْ رسولَ اللهِ في الأقوالِ والْـ ـأعمالِ ولا تَخْرُجْ عن القرآنِ(٤)

السنةُ حافلةٌ بذكرِ الفراسَةِ ونكتفي بذكْرِ بعضِها.

فعن أنسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إن للهِ عبادًا يَعْرِفونَ النَّاسَ بالتوَسُّمِ**»(٥).

فدلَّ الحديثُ أنَّ من عبادِ اللهِ مَنْ يعرفون النَّاسَ بالفِراسةِ كما تفرَّسَ أبو بكرٍ في عُمَرَ حين استَخْلَفَهُ وكما تفرَّسَ عزيزُ مِصْرَ في يوسُفَ - عليه الصلاةُ والسلامُ - وكما تفرَّسَ سليمانُ بنُ عبدِ الملكِ في عُمَرَ بنِ عبدِ العزيزِ حين استخلَفَهُ ومثلُ هذا كثيرٌ.

---

(١) «مدارج السالكين» (٣/ ٣٥٨).

(٢) «تفسير ابن جزي» (١/ ٨١٣).

(٣) «مدارج السالكين» (٣/ ٣٥٨).

(٤) الكافية الشافية (٢/ ٥٧٠).

(٥) (حسن) رواه الطبراني في «الأوسط» (٢٩٣٥)، والشهاب في مسنده (٥٠٠١)، وحسنه الألباني في«السلسلة الصحيحة» (١٦٩٣).

وعن أبي هُريرةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ: «**لقد كان فيما قبلَكُمْ ناسٌ مُحَدَّثُون فإنْ يَكُ في أمتي أحَدٌ فإنَّهُ عُمَرُ**»(١).

والمُحَدَّثُ هو الرَّجُلُ الصادق الظَّنِّ(٢).

وما من شَكٍّ أنَّ صوابَ الظَّنِّ البابُ الأكبرُ من الفراسَةِ.

قال محمدُ بنُ حَرْبٍ: الفراسةُ تفترقُ عن الظنِّ عمومًا لذا قَيَّدَها العلماءُ بأنها ظَنٌّ صائبٌ».

الفراسَةُ عند العَرَبِ

أَوَ كُلَّمـــا وَرَدَتْ عكـــاظَ قبيلـــةٌ بَعَثُـــوا إلـــى عِـــرِّيفِهِمْ يَتَوَسَّـــمُ

كان العربُ أهلَ فِراسةٍ لنشأتِهِم في بيئةٍ عريقةٍ في الأخلاقِ سيَّما الكرمُ والصدقُ والغِيرةُ فبَعَثَ اللهُ ﷻ رسولَهُ ﷺ لِيُتَمِّمَ لهم مكارِمَ الأخلاقِ فمِنْ قِبَلِ هَدْيِ اللهِ الذي جاء به سَمَتْ أخلاقُهُ وزادَتْ فِراستُهُ.

قال طريفُ بن تمِيمٍ الغبريُّ - وهو شاعِرٌ جاهليٌّ -:

أَوَ كُلَّمـــا وردتْ عكـــاظَ قبيلـــةٌ بعثـــوا علـــى عِـــرِّيفِهِمْ يتوسَّـــمُ

وقال زهيرُ بن أبي سُلْمَى - وهو - أيضًا - شاعرٌ جاهليٌّ -:

وفـــيهِنَّ ملهـــى للصـــديقِ ومَنْظَـــرٌ أنيـــقٌ لعَـــيْنِ النَّـــاظرِ المتوسِّـــمِ

---

(١) «رواه البخاري» (٣٦٨٩).

(٢) «دليل الفالحين» (٧/ ٣١٦).

ولما جاءَ اللهُ بالإسلامِ تفرَّسَ كثيرٌ منهم في النَّبِيِّ ﷺ فعلموا أَنَّه صادِقٌ وأنَّ وَجْهَهُ ليس بوَجْهِ كذَّابٍ فمنهم من وفَّقَهُ اللهُ فقَبِلَ هُدَى اللهِ ومنهم من صَدَّه عنه الكبرُ والحَسَدُ.

فعن عبدِ اللهِ بنِ سلامٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: لما قَدِمَ رسولُ اللهِ ﷺ المدينةَ انْجَفَلَ[١] النَّاسُ إليه، وقيل: قَدِمَ رسولُ اللهِ ﷺ فجِئْتُ في النَّاسِ لأنظرَ إليه فلمَّا استبنْتُ وَجْهَ رسولِ اللهِ ﷺ عَرَفْتُ أَنَّ وجْهَهُ ليسَ بِوَجْهِ كذَّابٍ.

وكان أَوَّلُ شيءٍ تكلَّمَ به أَنْ قال: «**يا أَيُّها الناسُ: أفشُوا السَّلامَ، وأَطْعموا الطعامَ، وصَلُّوا والنَّاسُ نيامٌ، تَدْخُلُوا الجنةَ بسلامٍ**»[٢].

وقال ابنُ رواحةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

إني توسمتُ فيك الخيرَ أعرفُهُ ... فِراسةً خالفَتْهم في الذي نظروا
ولو سألتَ أو اسْتنفرْتَ بَعْضَهُمُ ... في جُلِّ أمرِك ما آوَوا ولا نَصَروا
فثبَّتَ اللهُ ما آتاكَ من حَسَنٍ ... تثبيتَ موسى ونصرًا كالذي نُصِروا[٣]

الفِراسةُ في الأمثالِ والحِكَمِ

وذَكَّرني بيتًا من الشعرِ سائرًا ... وقد تُضْرَبُ الأمثالُ في سائِرِ الشِّعْرِ[٤]

---

(١) انجفلَ الناسُ: أي ذهبوا إليه مسرعين.

(٢) (صحيح) أخرجه الترمذيُّ (٢٦٠٣)، وصححه الألبانيُّ في «الصحيحة» (٥٦٩).

(٣) «طبقاتُ فحولِ الشعراء» (٢٢٦).

(٤) إعتاب الكتاب (١/ ١٧).

١- «**مَنْ لم ينتفعْ بظنِّهِ، لم ينتفعْ بيقِينِهِ**». يُضْربُ في حَمْد الفِرَاسَة.

٢- «**صوابُ الظَّنِّ البابُ الأكبرُ من الفِراسَة**».

قالَهُ محمدُ بن حربٍ؛ لأَنَّ الفِراسَةَ تفترقُ عن الظنِّ عمومًا لذا قَيَّدَها العلماءُ بأنها ظنٌّ صائبٌ؛ فجاء محمدُ بن حربٍ بالجوهَرِ.

٣- قالوا: لا بدَّ في بابِ البَصَرِ بجواهِرِ الرِّجالِ مِنْ صِدْقِ الحِسِّ، ومن صحَّةِ الفِراسَةِ، ومن الاستدلالِ في البَعْضِ على الكلِّ كما استدلَّتْ بنتُ شُعيبٍ عليه السلام حين قضتْ لموسى عليه السلام بالأمانةِ والقوةِ، وهما الرُّكنانِ اللَّذانِ تُبنى عليهما الوكالةُ.

٤- «**لا عاشَ بخيرٍ من لم يَرَ برأيِهِ ما لمْ يَرَ بِعَينِهِ**».

قالَهُ ابنُ الزُّبيرِ رضي الله عنهما والمقصودُ أنَّ الرأيَ تتقدَّمُهُ فِراسةٌ صادقةٌ نتيجةَ تجربةٍ وبعدِ نظرٍ كالذي حصل لابنةِ شعيبٍ في موسى عليه السلام.

٥- «**مَنْ لم تعرفْكَ غائبًا أُذُناه، لم تعرفْكَ شاهدًا عيناه**».

أي أَنَّ مَنْ لم يعرفْكَ غائبًا بأوصافِكَ وصِدْقِكَ لم يعرفْكَ غائبًا وقد عَرَفَ هرقلُ الرومِ صِدْقَ النبيِّ ﷺ وأنَّه نبيٌّ حين سَمِعَ عنه من أبي سفيانَ رضي الله عنه لكِنْ صَدَّهُ عن الإيمانِ بِهِ الخوفُ على ملكِهِ أنْ يَزولَ![1].

(١) انظر: القصة كاملة في «صحيح البخاري» (٦٧٧١)، ومسلم (١٧٧٣).

الفِراسةُ علمٌ عربيٌّ

أنْـــتَ عنـــدي عربـــيُّ الـــ ـــأصلِ مـــا فيـــك كـــلامُ[١]

ما مِنْ شَكٍّ أنَّ الفِراسةَ علمٌ مرَ به أصيلٌ برعَ فيه العربُ فكانوا السابقين إليه قبلَ غيرِهم من الأمَمِ[٢] أخذَهُ عنهم الغَربُ فطوَّرُوهُ حتى كأنَّهُ ليس لهم غيرُهُ وأصبح علمًا يُدَرَّسُ لدَيهم مُنْذُ أمد ولا زالَ!

---

(١) أخبار أبي تمام (٣٤).

(٢) أنوعُ الفِراسة عند العربِ:

١- فراسَة الأَثر (القيافَةُ): تتبعُ آثارِ الأقدامِ والخفاف والنِّعالِ في التُّرْبَة.

٢- فَراسة البَشر (القيافَةُ): معرفةُ الإنسان بالنَّظرِ إلى بَشَراتِهم وملامِحِهمْ وأجْسادِهم.

٣- فَراسةُ ومعرفةُ الجبال واستنباطُ معادن الفلزات.

٤- فِراسةُ ومعرفة مصادرِ الميَاهِ (الريافَةُ)من التربة والرائحةِ ورؤيةِ النباتِ وحركات الحيواناتِ المخصوصَةِ.

٥- الاستدلالُ بأحوالِ البروقِ والسحابِ، والمَطرِ والريحِ.

٦- فراسةُ اللغةِ.

٧- فَراسَةُ طباعِ وأخلاق الشُّعوبِ (جزءٌ من فِراسةِ وجوهِ البَشرِ).

٨- الفَراسةُ المتعلِّقةُ بحذْق المَرْءِ في صَنْعَته.

٩- الفَراسةُ المتَعلِّقَةُ بأَخلَاقِ الحَيواناتِ وَصِفاتِها المحمودَةِ والمذمومَةِ الخيلُ الإبلُ... إلخ.

١٠- فَراسة الحسِّ (اللون، الذوق، اللمسِ).

١١- فَراسةُ السِّلوك، والمَزَاجِ، والأَصواتِ، والأحوالِ النفسيَّةِ.

فيمَنْ تَفَرَّسَ في صبيٍّ أمرًا فكان كما تفرَّسَ

فراســـةُ عبـــدٍ مـــؤمن لا كهانـــةٌ ومـــن هـــو شِـــقٌّ عنـــدها وَسَـــطيحُ[1]

رأى بكيرُ بنُ الأخنسِ المهلبَ وهو غلامٌ فقال: خذوني به إن لم يَفُقْ سراتَهم ويبرعْ حتَّى لا يكونَ له مِثْلٌ! وكان كما قال.

ونظر رجلٌ إلى معاويةَ وكان صغيرًا فقال: إني أظنُّ هذا الغلامَ سيسودُ قومَهَ! فقالت هندُ: ثَكِلَتْهُ أمُّه إن كان لا يسودُ إلا قومَهُ.

ورأى رجلٌ ابنَ السكيتِ وهو صغيرٌ يُسألُ فيجيبُ فقال: إن هذا الغلامَ ينالُ خيرًا.

ونظر الإمامُ مالكٌ للشافعيِّ، أوَّلَ ما قَدِمَ عليه – ساعةً ثُمَّ قال: ما اسمُكَ؟ فقال: محمدٌ.

قال: يا محمدُ اتَّقِ اللهَ واجْتَنِبِ المعاصيَ فإنَّهُ سيكونُ لك شأنٌ من الشأنِ.

وتفرَّس المراكشيُّ في الإمامِ النوويِّ – رحمهما اللهُ – فذهبَ إلى معلِّمِهِ فأوصاهُ به خيرًا وقال له: إنه يُرجى أن يكون أعلمَ أهلِ زمانِهِ وأزهدَهُمْ ويَنْتَفِعَ الناسُ به».

وقَدِمَ بعضُ كبارِ العلماءِ من حلبَ إلى دِمَشْقَ فصادفَ خياطًا في حانوته فقال: سمعتُ في البلاد بصبي يُقالُ له: «أحمدُ بنُ تيميَةَ»، وأنه سريعُ الحفظِ وقد جئتُ إليه قاصدًا لعَلِّي أراهُ».

قال له الخياط: هذه طريقُ كُتابِهِ، وهو الآنَ ما جاء، فاقْعُدْ عندنا، الساعةَ يجيءُ

---

(١) دواوين الشعر (٥/ ٤٢٦).

يعبرُ علينا ذاهبًا إلى الكتَّاب».

فَجَلَسَ الشيخُ الحَلَبيُّ قليلًا، فمرَّ الصبيانُ، فقال الخياطُ للحلبيِّ: ذاك الصبيُّ الذي معه اللوحُ الكبيرُ، هو أحمدُ بنُ تيميَةَ!

فنادهُ الشيخُ، فجاء إليه، فتناولَ الشيخُ اللوحَ فنظرَ فيه ثمَّ قال: يا ولدي امْسَحْ هذا حتى أُمليَ عليكَ شيئًا تكتُبُهُ.

ففعل، فأملى عليه من فنون الحديث أحدَ عَشَرَ أو ثلاثةَ عَشَرَ حديثًا، وقال له: أقرأ هذا: فلم يزِدْ على أن تأمَّلَهُ مرةً بعد كتابَتِهِ إِيَّاهُ ثُمَّ دفعه إليه وقال: أَسْمِعْهُ عليَّ: فقرأَ عليه عرضًا كأَحْسَنِ ما أنت سامعٌ، فقال له الشيخُ: امسَحْ هذا! ففعل، فأملى عليه عدةَ أسانيدَ انتَخَبَها، ثم قال: اقرأ هذا.

فنظرَ فيه، كما فَعَلَ أوَّلَ مرةٍ، فقام الشيخُ، وهو يقولُ: إن عاشَ هذا الصبيُّ ليكونَنَّ له شأنٌ عظيمٌ، فإن هذا لم يُرَ مثلُهُ»[1].

---

(١) «العقود الدرية» (ص٤).

الفِراسةُ علمٌ قائمٌ بذاتِهِ

الفِراسةُ فَنٌّ وعلمٌ قائمٌ بذاتِهِ أَطْلَقَ عليه العلماءُ لفظَ عِلْمٍ والعلمُ هو ما يَقُومُ على قواعدَ وأسسٍ ثابتةٍ لذا قُيِّدَ بأَنَّهُ ظنٌّ صائبٌ حتَّى لا يختلِطَ بالظنِّ المذمومِ في قولِهِ تعالى: ﴿ٱجْتَنِبُوا۟ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ﴾ [الحجراتُ: ١٢].

وفي «الصحيحين»: قال رسولُ اللهِ ﷺ: «**إياكُمْ والظَّنَّ فإن الظنَّ أَكْذبُ الحديثِ**»(١).

(١) رواه البخاريُّ (١٥٤٣)، ومسلمٌ (٢٥٦٣).

حاجةُ الناسِ إلى الفِراسَةِ

كُـــلٌّ إلـــى عِلْمِـــكَ ذو حاجـــةٍ كحاجـــةِ الأرضِ إلـــى القَطْـــرِ[١]

حاجةُ الناسِ إلى الفراسةِ لا تقلُّ عن حاجتِهم إلى الأدبِ ولو لم يكُنْ من فائدتِها إلا التأمُّلُ في عواقبِ الأمورِ ومآلاتِها لكان المقصِّرُ عن تعلُّمِها في نقصٍ.

ويتأكَّدُ تعلُّمها في حَقِّ ما يأتي:

١- العلماءُ والمربُّون.

العلماءُ والمربُّون بحاجةٍ إلى التوسُّمِ في طُلَّابهم لِمعرفةِ قُدْرَتِهم الذِّهنيةِ والعلميةِ ليُعطوا كلَّ شَخْصٍ من الاهتمامِ بِحَسَبِهِ.

قال الماورديُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «ينبغي أنْ يكونَ للعالمِ فراسةٌ يتوسَّمُ بها المتعلِّمُ، ليعرفَ مَبْلَغَ طاقتِهِ، وقدرَ استحقاقِهِ، ليعطِيَهُ ما يتحمَّلُهُ بذكائِهِ، أو يَضْعُفُ عنه ببلادتِهِ، فإنَّه أروحُ للعالِمِ، وأنجحُ للمُتَعلِّمِ»[٢].

٢- الدعاةُ إلى اللّهِ.

يحتاجُ الدعاةُ إلى اللهِ إلى الفراسةِ لمعرفةِ طبائعِ الناسِ ومدى استعدادِهم لقبولِ الحقِّ فهناكَ العاصي وهناكَ قاسي القلبِ والمُوسوسُ، والمستعِدُّ لقَبولِ النصيحةِ والمُعْرِضُ عنها، والمتلهِّفُ لدينِ الفطرةِ والمعانِدُ لَهُ ومن عنده شبهاتٌ ومن هو صاحبُ شهواتٍ أو هوى. وهَلُمَّ جرًّا.

---

(١) «معجم الأدباء» (٥/ ٢٣٢٩).

(٢) «معجم الأدباء» (٥/ ٢٣٢٩).

والشريفُ في قومِهِ يحتاجُ إلى تعامُلٍ خاصٍّ وهكذا تكونُ معرفةُ الناسِ عن طريقِ الفراسةِ ليسهُلَ دعوتُهم أو تصحيحُ عقائِدِهم وعبادتِهم، وشواهِدُ هذا البابِ من السُّنةِ وسِيَرِ السَّلفِ الأبرارِ جمَّةٌ غزيرةٌ.

فمن ذلك ما جاءَ في «الصحيحين»[1] من حديثِ أبي هريرةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: بَعَثَ رسولُ اللهِ ﷺ خيلًا قِبَلَ نَجْدٍ، فجاءَتْ بِرَجُلٍ من بني حَنِيفَةَ يُقَالُ لَهُ: ثُمامَةُ بْنُ أُثالٍ، فَرَبَطُوهُ بِسَارِيَةٍ من سواري الْمَسْجِدِ، فَخَرَجَ إِلَيْهِ النَّبِيُّ ﷺ فَقَالَ: «**ما عندكَ يا ثُمَامَةُ**»؟ قَالَ: عِنْدِي خَيْرٌ يا مُحَمَّدُ، إِنْ تَقْتُلني تَقْتُلْ ذا دَمٍ، وإن تُنْعِمْ تُنْعِمْ على شَاكِرٍ، وإِنْ كُنْتَ تُرِيدُ الْمَالَ فَسَلْ مِنْهُ ما شِئْتُ، فَتُرِكَ حتَّى كَانَ الْغَدُ، ثُمَّ قَالَ لَهُ: «**ما عندك يا ثُمامةُ**»؟ قال: ما قُلْتُ لَكَ: إِنْ تُنْعِمْ تُنْعِمْ عَلَى شاكِرٍ، فَتَرَكَهُ حَتَّى كَانَ بَعْدَ الْغَدِ، فقَالَ: «**ما عِنْدَكَ يا ثُمامَةُ**»؟ فَقَالَ: عِنْدِي ما قلتُ لك، فقال: «**أَطْلِقُوا ثُمامَةَ**» فانْطَلَقَ إلى نخلٍ قريبٍ مِنَ الْمَسْجِدِ فاغْتَسَلَ، ثُمَّ دخَلَ الْمَسْجِدَ فقال: أَشْهَدُ أَنْ لا إلهَ إِلَّا اللهُ وأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رسُولُ اللهِ، يا مُحَمَّدُ واللهِ ما كَانَ على الأَرْضِ وَجْهٌ أَبْغَضَ إليَّ من وَجْهِكَ، فقد أَصْبَحَ وَجْهُكَ أَحَبَّ الْوُجُوهِ إليَّ، واللهِ ما كان من دِينٍ أَبْغَضَ إليَّ من دينِكَ، فأَصْبَحَ دينُكَ أحبَّ الدينِ إليَّ، واللهِ ما كان من بلدٍ أَبْغَضَ إليَّ من بِلَدِكَ فأَصْبَحَ بَلَدُكَ أَحَبَّ البلادِ إليَّ، وإنَّ خَيْلَكَ أَخَذَتْني وأَنا أُرِيدُ الْعُمْرَةَ فماذا ترى؟ فَبَشَّرَهُ رسُولُ اللهِ ﷺ وأَمَرَهُ أن يَعْتَمِرَ، فلمَّا قَدِمَ مَكةَ قَالَ لَهُ قائِلٌ: صَبَوْتَ؟ قال: لا ولكنْ أَسْلَمْتُ مع محمدٍ رسُولِ اللهِ ﷺ، ولا واللهِ لا يأتيكُمْ مِنَ الْيَمَامَةِ حَبَّةُ حِنْطَةٍ حتَّى يأذَنَ فيها النبيُّ ﷺ».

والشاهِدُ من الحديثِ أنَّ النبيَّ ﷺ عَرَفَ أَنَّ الرجلَ ذو شأْنٍ في قومِهِ فرَغِبَ في إسلامِهِ فتفقَّدَهُ حتَّى إذا تَفَرَّسَ فيه تطلُّعَهُ لهذا الدينِ ورغْبَتَهُ في الإسلامِ قال: أطلِقوا ثمامَةَ».

---

(١) «رواه البخاريُّ» (٤٦٢)، ومسلمٌ (١٧٦٤).

أنــت الــذي حــنَّ الجمــادُ لعَطْفِــهِ وشــكا الحيــوانُ إليــك حــين رآكــا
والجــذعُ يُســمعُ بــالحنينِ أنينُــه وبكــاؤُه شــوقًا إلــى لقياكــا
مــاذا يزيــدُك مــدحُنا وثناؤُنــا واللهُ بــالقرآنِ قــد زكَّاكــا

ولما رأى العباسُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنَّ أبا سفيانَ يُحِبُّ الفَخْرَ رَغَّبَ إلى رسولِ اللهِ ﷺ أنْ يجعَلَ لَهُ شيئًا يكونُ سببًا في تثبيتِهِ على الحَقِّ بعد أَنْ شَهِدَ شهادَةَ الحَقِّ.

قال العباسُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قلتُ: يا رسولَ اللهِ! إنَّ أبا سفيانَ يحبُّ الفَخْرَ، فاجْعَلْ له شيئًا، فقال: «**نَعَمْ، مَنْ دَخَلَ دارَ أبي سفيانَ فهو آمِنٌ، ومن أغلقَ بابَهُ فهو آمِنٌ**»(١).

والشاهِدُ أنَّ العباسَ توسَّمَ في أبي سفيانَ حُبَّهُ للفَخْرِ فرغَّبَ إلى النبيِّ ﷺ أنْ يجعلَ له شيئًا يُشعرُهُ ببقاءِ مكانتِهِ فأَقرَّهُ على ذلك وجَعَلَ له شيئًا.

أدبٌ كمِثْــلِ المــاءِ لــو أَفرغْتَــهُ يومًــا لســالَ كمــا يســيلُ المــاءُ(٢)

٣- الأمراءُ والحكامُ.

الأمراءُ والحكامُ من أحوجِ الناسِ إلى الفِراسةِ؛ فَبها يعرفون طباعَ أهلِ كُلِّ ناحيةٍ وبها يَضعُون الرجلَ المناسبَ لتلك الناحيةِ أو تلك المحافظةِ وبذلك يسوسون الناسَ سياسةً عادلةً متوازنةً وعلى ذلك مضى السلفُ الأبرارُ يَعْبُقُ ذكرُهم.

مضــتْ لأســلافِنا فــيمَنْ مضــى سُــفَنٌ ساسُــوا بهــا لَهُــمُ مُلْكًــا فمــا وهنُــوا(٣)

---

(١) رواه مسلم (١٧٨٠).

(٢) «العقد الفريد» (٢/ ٢٦٢).

(٣) «وصايا الملوك» (٦).

٤- رجالُ الأمْنِ.

رجالُ الأمنِ بحاجةٍ إلى الفراسةِ إذْ تُمكِّنُهُمْ من معرفةِ المجرمين وأماكِنِ تواجُدِهم من خلالِ المعلوماتِ المتوفِّرةِ لديهم كآثارِ أرجلِهِم وأيديهم وإطاراتِ سياراتهم ومن خلالِ التَّفَرُّسِ في عيونِهم وكلامِهم ودَقَّةِ قلوبهم وغير ذلك من الأمورِ التي تعلَّمُوها من مقعد الدراسةِ أو واقع الحياةِ ومن تأَمَّلَ رجالَ السَّلَفِ وسيرتَهم يرى العَجَبَ من استقرار مُلْكِهم ودقَّةِ حكمِهِم وغرائِبِ فراستِهِم.

تلـكَ الحضـارةُ لا حكومـةُ معشـرٍ ... مَلكـوا بعـدلِهِم الرقـابَ وسـادوا
ساسـوا فـلا صَـلَفٌ ولا جبريَّـةٌ ... راعـوا فـلا خسْـفٌ ولا استبدادُ
رفعـوا علـى هـامِ القياصِـرِ مُلْكَهـم ... والعـدلُ ركـنٌ قـائمٌ وعمـادُ[1]

٥- القُضَاةُ.

القضاةُ بحاجةٍ إلى التوسُّمِ في وجوهِ الخُصُومِ لمعرفةِ المُحِقِّ من المُبْطِلِ بعد توفُّر المعلوماتِ الكافيةِ فيَلْطُفُ في الفَحْصِ الذي يجعلُ المُبْطِلَ في وضعٍ حَرِجٍ لا يَسَعُهُ إلا الاعترافُ ومثلُ هذا كثيرٌ.

قال ابنُ فرحون رَحِمَهُ اللَّهُ: «يُسْتَحَبُّ للقاضي أن يستعملَ الفِرَاسةَ، ويراقبَ أحوالَ الْخَصْمَينِ عند الإدلاءِ بالحُجج ودعو الحقوقِ، فإنْ توسَّمَ في أحَدِ الخَصْمَينِ أنَّه أبْطَنَ شُبْهةً، فلْيتَلَطَّفْ في الكشْفِ والفَحْصِ عن حقيقةِ ما تَوَهَّمَ فيه»[2].

---

(١) «دواوين الشعر العربي» (٨٩/ ٢٢٤).

(٢) «تبصرةُ الحكَّام في أصولِ الأقضيةِ ومناهج الأحكام» لابن فَرْحُون (٢/ ٢١٦)، وسمي بابن فَرحون لموَافقته لاسم أُمِّهِ.

٦- الأطباءُ.

وكيـــف تُعِلُّـــكَ الـــدنيا بشـــيءٍ وأنـــت لِعِلَّـــةِ الـــدنيا طبيـــبُ؟[١]

الأطباءُ بحاجةٍ إلى الفراسةِ؛ بل إنَّ الفراسةَ قد دخَلَتْ مُنْذُ القدمِ في تشخيصِ الأمراضِ والعللِ التي تعتري الجسمَ[٢].

قال ابنُ القيِّمِ رَحِمَهُ اللَّهُ: «وللأطباءِ فراسةٌ معروفةٌ من حذقِهم في صناعتِهم، ومَن أَحبَّ الوقوفَ عليها فليطالعْ تاريخَهُم وأخبارَهُمْ. وقريبٌ من نصفِ الطبِّ فِراسةٌ صادقة تَقْتَرِنُ بها تَجْرِبَةٌ»[٣].

٧- أصحابُ تأويلِ الرُّؤْيا.

رؤيـاكَ فَسِّـرْ غـدًا عنـد الأميـرِ تَجِـدْ تعبيـــرَ ذاك وفي النـــومِ التباشـــيرُ[٤]

---

(١) «الصبحُ المنبي عن حيثية المتنبي» (٤٠٠).

(٢) يقولُ بعضُ المتخصِّصينَ في الطبِّ: «ولتشابُه الأعراضِ في كثير من الأمراضِ فعندئذٍ يجوزُ للطبيبِ إعمالُ فراستِهِ مع الاستفادةِ من خبراتِهِ الشخصيَّةِ وتجاربِهِ وأسلوبِ التشخيصِ التفريقي من أجلِ تشخيص المرضِ ووصفِ العلاجِ، عِلْمًا بأنَّ اللهَ ﷻ قَدْ وَهَبَ بعضَ الخَلْقِ فراسةً ثاقبةً تكادُ في بعضِ الحالاتِ تتفوَّقُ على الوسائلِ الأُخْرَى، وأذكُرُ على سبيلِ المثالِ زميلَنا في كليَّةِ الطبِّ (ث، ق) الذي كان يتمتَّعُ بفراسةٍ أذهلَتْ حتى أساتذتَنا الكبارَ فقد كان يكفي هذا الزميلَ أنْ يَنْظُرَ إلى المريضِ نظرةً متفحِّصَةً ليقولَ بعد ذلك بثقةٍ تامَّةٍ: إن مرضَهُ هو: كيت وكيت!
ثم تأتي التحاليل المخبريَّةُ، والصُّوَرُ الشُّعاعِيَّةُ، وغيرُها من وسائل التشخيصِ المعقَّدةِ لتؤكِّدَ ما ذهبَ إليه هذا الزميلُ الذي نادرًا ما كانت فراسَتُهُ تُخْطِئُ.

(٣) «مدارجُ السالكين» (٣/ ٣٦٥).

(٤) «العقد الفريد» (٤/ ٢٠٤).

أصحابُ تأويلِ الرؤيا بحاجةٍ إلى الفراسةِ بل جَعَلَ بعضُهم عِلْمَ الفراسةِ أصلًا وعلمَ التأويلِ فَرْعًا عنه قال الراغبُ رَحِمَهُ اللَّهُ: «من الفِراسةِ علمُ الرؤيا، وقد عظَّمَ اللهُ أمْرَها في كُلِّ الكُتبِ المُنْزَلَةِ»(١).

وقال الدَّرديريُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «والعلمُ بتفسير الرُّؤيا ليس من كُتُبٍ كما يقعُ للناسِ من التعبيرِ من ابنِ سيرينَ، فيحرُمُ تَفْسِيرُها بما فيه، بل يكونُ بِفَهْمِ الأحوالِ والأوقاتِ وفراسةٍ وعلمٍ بالمعانِي»(٢).

وقال الشيخُ صالحُ الفوزانُ - حفظَهُ اللهُ -: «لا شكَّ أن الرُّؤيا منها ما هو حَقٌّ وهي من عجائِب آياتِ اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: «وتأويلُ الرُّؤيا يعتمدُ على الفِراسةِ والذَّكاءِ والنَّظَر في حالِ الرَّائي»(٣).

وهذا ابنُ سيرينَ رَحِمَهُ اللَّهُ يستخدمُ الفِراسةَ في التأويلِ يأتيه رجلٌ يسألُهُ عن رؤيا فيقولُ:

«رأيتُ في النَّومِ كأني أُؤَذِّنُ، قال: تحُجُّ هذا العامَ.

وقال له آخَرُ: رأيتُ في النَّومِ كأني أُؤذِّنُ، قال: «تُقْطَعُ يدُكَ في سَرِقةٍ».

ولما قيل له في التأويلين قال:

«رأيتُ على الأوَّلِ سيماءَ حسنةً، فتأوَّلْتُ قولَ اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ﴾ [الحَجُّ: ٢٧]، ولم أرضَ هيئةَ الثاني فتأوَّلْتُ قولَ اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَيَّتُهَا ٱلْعِيرُ

(١) «الذريعة إلى مكارم الشريعة» (١١٠).

(٢) «شرح أقرب المسالك» (٥/ ٢٨٥).

(٣) «المنتقى من فتاوى الفوزان» (٢/ ٣٠٥).

﴿إِنَّكُمْ لَسَٰرِقُونَ ﴿٧٠﴾﴾ [يوسُفُ: ٧٠][(١)].

وقال القادريُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

«إنَّ رجلًا جاء إلى ابنِ سيرينَ رَحِمَهُ اللَّهُ فقال: «رأيتُ شعرًا كثيرًا نابتًا في وجهي، فقال: الشَّعرُ مالٌ، وأنت تعملُ فيه عملًا مخالفًا، وجاءَهُ رجلٌ قد رأى نَفْسَ الرُّؤيا كذلك، فقَال: أنْتَ رجلٌ عليكَ دينٌ فاسْتعِنْ باللهِ عليه»[(٢)].

(١) ذكره ابن قتيبة في «عبارة الرُّؤيا» (١٣٣)، والبغوي في «شرح السنة» (٢/ ٦٢)، والخليل بن شاهين في «الإشارات» (٦٣٣)، والتويجري في «الرُّؤيا» (١٦٨) وغيرهم.

(٢) «تعبير الرُّؤيا» للقادري (١/ ١٩٤)، و«الإشارات» لابن شاهين (٨٧٢)، و«تعطير الأنام» للنابلسي (٢٨٢)، و«منتخب الأحلام» المنسوب لابن سيرين رَحِمَهُ اللَّهُ وهو على التحقيق لأبي سعيد الواعظ (٩٩).

الأسبابُ المعينةُ على الفراسةِ الإيمانيةِ

الأسبابُ المعينةُ على الفراسةِ جَمَّةٌ وسأذكُرُ أهَمَّ ما يتعلَّقُ بها فمِنْ ذلك:

١- الإيمانُ باللهِ ﷻ:

وأَن ذَوي الإيمــانِ والعلــمِ والنُّهــى هــم الْغُرَبا، طوبى لهم ما تَغَرَّبُوا[١]

الإيمانُ باللهِ من أعظمِ أسبابِ الحصولِ على الفراسةِ الإيمانيَّةِ ومعناهُ الاعتقادُ الجازِمُ بأَنَّ اللهَ ربُّ كُلِّ شيءٍ ومليكُهُ وخالقُهُ، وأنه الذي يستحقُّ وحدَهُ أن يُفرَدَ بالعبادَةِ من صلاةٍ وصومٍ، ودعاءٍ، ورجاءٍ، وخوفٍ وذُلٍّ، وخضوعٍ وأنَّه المتَّصِفُ بصفاتِ الكمالِ كُلِّها المُنَزَّهُ عن كلِّ نَقْصٍ.

٢- الإخلاصُ:

ولــيس مســتعظمًا فضــلٌ، ولا كــرمٌ وحسـبُ نفسِـك إخـلاصٌ يزكِّيهـا[٢]

ومن أسبابِ الحصولِ على الفراسةِ الإيمانيةِ الإخلاصُ وهو: أَلَّا تطلبَ لعملِك شاهدًا غيرَ اللهِ ﷻ[٣].

قال اللهُ ﷻ: ﴿فَٱعۡبُدِ ٱللَّهَ مُخۡلِصٗا لَّهُ ٱلدِّينَ ۝٢ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلۡخَالِصُۚ﴾ [الزمَرُ: ٢، ٣].

قال ابنُ العربيِّ - رحمهُ اللهُ تعالى -: «أَمَرَ اللهُ عبادَهُ بعبادِتِهِ، وهو أداءُ الطاعةِ له

---

(١) القصائد الزهديات (١/ ٢٢٢).

(٢) «دواوينُ الشعرِ» (٩١/ ٩٧).

(٣) «التعريفاتُ» (١٣/ ١٤).

بصيغَةِ القُربَةِ، وذلك بإخلاصِ النيَّةِ بتجريدِ العملِ عن كُلِّ شيءٍ إلا لوجْهِهِ وذلك هو الإخلاصُ»[١].

وعن أسامةَ بنِ زيدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ: «**إنَّ اللهَ لا يقبلُ من العملِ إلا ما كان خالصًا وابتغى بذلك وجْهَهُ**»[٢].

ويعجبني الذي يقولُ:

واجعل لقلبِكَ هجرتين ولا تَنَمْ ... فهما على كُلِّ امرئٍ فَرْضَانِ:
فالهجرةُ الأُولى إلى الرحمنِ بالـ ... ـإخلاصِ في سِرٍّ وفي إعلانِ
فالقَصْدُ وجْهُ اللهِ في الأقوالِ والـ ... ـأعمالِ والطاعاتِ والشكرانِ
فبذاك ينجو العبدُ من إشراكِهِ ... ويصير حقًّا عابدَ الرحمنِ[٣]

٣- تقوى اللّهِ:

أحْسِنْ بربِّكَ ظنَّا ... فإنَّهُ عِند ظَنِّكْ
واجعلْ من اللهِ حِصْنًا ... فإنَّهُ خَيْرُ حِصْنِك[٤]

تقوى اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى من أعظمِ أسبابِ اكتسابِ الفِراسةِ قال ابنُ عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ: «فالتقوى سببٌ لزيادةِ الْفَهْمِ ويَدْخُلُ في ذلك - أيضًا - الفِراسةُ أنَّ اللهَ يعطي المُتقي فِراسةً يُميزُ بها حتى بين الناسِ، فبمُجَرَّدِ ما يرى الإنسانَ يَعْرِفُ أَنَّه كاذبٌ أو صادقٌ أو بَرٌّ أو فاجرٌ حتَّى أنَّه ربَّما يَحْكُمُ

(١) «أحكام القرآن» (٤/ ٤٣٧).
(٢) (حسنٌ) رواه النسائيُّ (٦/ ٢٥) وحسَّنَهُ الألبانيُّ في «الصحيحةِ» (٢٥).
(٣) «موسوعةُ الشعر الإسلاميِّ» (٣٦/ ٣٣٠).
(٤) «أحسنُ ما سمِعْتُ» (٨٨).

على الشَّخْصِ وهو لم يُعَاشِرْهُ ولم يَعْرِفْ عنه شيئًا بسببِ ما أعطاهُ اللهُ من الفراسةِ»[١].

ويعجبني الذي يقولُ:

إذا المرءُ لم يَلْبَسْ ثيابًا مِنَ التَّقى ... تَقَلَّبَ[٢] عُرْيانًا وإِنْ كان كاسيا

وخَيْرُ خِصَالِ المرءِ طاعَةُ ربِّهِ ... ولا خَيْرَ فيمَنْ كان للهِ عاصيا[٣]

وقال آخر:

فما ضَرَّ ذا التقوى نِصَالُ أسِنَّةٍ ... وما زال ذو التقوى أعَزَّ وأكْرَمَا

وما زالت التقوى تُرِيكَ على الفتى ... إذا محَّضَ التقى من العِزِّ مَيْسَمَا[٤]

٤- اتباعُ السُّنَّةِ:

إنْ كنتَ ترغَبُ في اتِّباعِ السُّنَّةِ ... فارْغَبْ فديتُكَ عن طريقِ البدعةِ[٥]

من أسبابِ اكتسابِ الفراسةِ متابعةُ الرسولِ ﷺ في أحوالِهِ، وأقوالِهِ، وأفعالِهِ.

فمتابَعَتُهُ ﷺ سببٌ للهدايةِ: ﴿وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا۟﴾ [النور: ٥٤]، كما هي سببٌ لنَيْلِ محبَّةِ اللهِ ومغفرتِهِ: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾﴾ [آل عمران: ٣١].

ولا شكَّ أنَّ مَنِ اتبعَ السنةَ في أقوالِهِ وأفعالِهِ وأحوالِهِ صَلُحَتْ فراستُهُ.

---

(١) فتاوى ابن عثيمين (٢٦/ ٧٨)، وشرح رياض الصالحين لابن عثيمين (١/ ٧٣).

(٢) تقلَّبَ: تجرَّدَ.

(٣) «لطائفُ المعارفِ» (٢١٦).

(٤) مجموعةُ القصائدِ الزهدياتِ (١/ ٤٨٨).

(٥) «أخبار وتراجم أندلسية» (١١٩).

٥- طهارةُ القلبِ من الشَّهواتِ، والشُّبُهاتِ:

حَتَّــامَ سَــمْعُكَ لا يعــي لِمُــذَاكِرٍ وصــميمُ قلْبــكَ لا يلــينُ لعــاذلِ[١]

من أسبابِ الفراسةِ طهارةُ القلبِ من الشهواتِ والشبهاتِ.

فالشهواتُ تتعلَّقُ بالمعاصي فيحبُّ العبدُ الشهواتِ المُحَرَّمَةَ كِالزِّنا والسَّرقةِ، وشُرْبِ الخمرِ، والغيبةِ والنميمةِ، وقطيعةِ الرَّحِمِ والعُلُوِّ في الأرضِ ونحوِ ذلك.

كما قال تعالى: ﴿فَلَا تَخْضَعْنَ بِٱلْقَوْلِ فَيَطْمَعَ ٱلَّذِى فِى قَلْبِهِۦ مَرَضٌ﴾ [الأحزابُ: ٣٢].

أَيْ مَرَضُ الشهواتِ والعياذُ باللهِ[٢] فهذا ما كان يخشاهُ النبيُّ ﷺ على أُمَّتِهِ.

فعن أَبي بَرْزَةَ الأسلميِّ رضي الله عنه عن النبيِّ ﷺ قال: «**إِنَّ مِمَّا أخشى عليكم: شهوةَ الغَيِّ في بُطُونِكُمْ وفروجِكُمْ، ومُضِلَّاتِ الهوى**»[٣].

وأَما الشبهاتُ فهو داءُ المبتدعةِ، وأهلِ الأهواءِ والخصوماتِ وكثيرًا ما يجتمعان فقلَّ من تجدُهُ فاسِدَ الاعتقادِ إلا وفسادُ اعتقادِهِ يظهرُ في عَمَلِهِ»[٤].

وهذان هما أَصْلُ كُلِّ شرٍّ وبلاءٍ، وبهما كُذِّبَتِ الرُّسُلُ، وعُصِيَ الرَّبُّ، وَدُخِلتِ النَّارُ وحَلَّتِ العُقُوبَةُ.

ولمَّا كان الأَمرُ بهذه الخطورةِ: كان الاهتمامُ بتصحيحِهِ وتسديدِهِ أولى ما اعْتَمَدَ

---

(١) مجموعة القصائد الزهدية (٢/ ١١٥).

(٢) دروس من القرآن الكريم للفوزان.

(٣) (صحيح) أخرجه أحمد (٤/ ٤٢٠)، وصحيح الألباني في «صحيح الترغيب» (٥٢).

(٤) «أعلام الموقعين» (١/ ١٨٥).

السَّالكون، والنظرُ في أمراضِهِ وعلاجِهِ أهمُّ ما تنسَّكَ بِهِ النَّاسكون»[١].

فالقلبُ موضعُ نَظَرِ اللهِ ﷻ: ﴿وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا فِي قُلُوبِكُمۡۚ﴾ [الأحزابُ: ٥١].

وعن أبي هريرةَ رضي الله عنه قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ: «**إِنَّ اللهَ لا يَنْظُرُ إلى صُوَرِكُمْ وأموالِكِم، ولكنْ يَنظرُ إلى قلوبِكم وأعمالِكم**»[٢].

فعلينا أن نُصلِحَ قلوبَنا لِتصلُحَ بصلاحِها أحوالُنا.

فعن النُّعمانِ بن بِشْرٍ رضي الله عنهما قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ: «**... ألا وإنَّ في الجَسَدِ مضغةً إذا صَلُحَتْ صَلُحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، وإذا فَسَدَتْ فَسَدَ الجَسَدُ كُلُّهُ ألا وهي القَلْبُ**»[٣].

وبعافيةِ القلبِ من فتنةِ الشهواتِ والشبهاتِ تُثْمِرُ الفِراسةُ الإيمانيةُ والسعادةُ الأَبَدِيَّةُ فمن صَلُحَ باطنُهُ أَصْلَحَ اللهُ له الأحوالَ، وسدَّدَهُ فِي الأقوالِ والأفعالِ»[٤].

ويعجبني الذي يقولُ:

ومُــؤْثِرُ مَحْبُــوبٍ سِــوَى اللهِ قلبُــهُ ... مَريضٌ على جُرْفٍ من الموتِ والعَمَى

وأعظـم مَحْـذُورٍ خَفَـى مَـوْتُ قَلْبـهِ ... عَلَيْــهِ لِشُــغْلِ عــن دواهُ يَصِــدَّمَا

وآيــةُ ذا هُــونُ القبــائح عِنْــدَهُ ... ولــولاه أضــحى نادِمًــا مُتألِّمــا

فَجَــامِعُ أمــراضِ القلــوبِ اتبَاعُهَــا ... هواهــا فخالِفْهــا تَصِــحَّ وتَسْــلَمَا[٥]

---

(١) موارد الظمآن (٣١).

(٢) رَوَاهُ مسلم (٢٥٦٤).

(٣) قطعة من حديث رواه البخاري (٥٢)، ومسلم (١٥٩٩).

(٤) المجموعة الكاملة لابن سعدي (٦/ ١١٦).

(٥) القصائد الزهدية (١/ ٣٦١).

٦- تفريغُ القلبِ من هموم الدنيا:

يـا سـاكنَ الـدنيا لقـدْ أوطَنْتَهـا ... وأمِنْتَهـا عجبًـا وكيـف أمِنْتَهـا
وشـغلتَ قلبَـكَ عـن معـادِك بـالمنى ... وخـدَعْتَ نفسـكَ بالهـدى وفتنتَهـا[1]

من أسبابِ الحصولِ على الفراسةِ تفريغُ القلبِ من همومِ الدنيا، والتِّيهِ في أوديتِها وشعابِها كيفَ وقد كُفيتَها وما هو مكتوبٌ عليك منها مدركُكَ أينما كنتَ ولا يعني ذلك تركَ الأسبابِ إنما اطِّرَاحُ الهَمِّ وتفريغُ القلبِ من التعلُّق بها.

فعن أبي هريرةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ: «**إنَّ اللهَ تَعَالَى يقولُ: يا بنَ آدمَ تفرَّغْ لعبادتي أَمْلَأْ صدرَك غِنًى وأسدَّ فقرَك، وإلا تفعلْ ملأْتُ يديك شُغْلًا ولم أُسُدَّ فَقرَكَ**»[2].

وعن أنسِ بنِ مَالكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ: «**مَنْ كانت الآخرةُ هَمَّهُ جعلَ اللهُ غناهُ في قَلبِهِ وجَمَعَ له شَمْلَهُ وأَتَتْهُ الدُّنيا وهي راغِمَةٌ، ومن كانت الدنيا همَّهُ جعل اللهُ فِقرَهُ بَيْن عينيهِ وفرَّقَ شَمْلَهُ ولم يأتِهِ من الدُّنيا إلا ما قُدِّرَ لَهُ**»[3].

ومن جميلِ ما قيل في وَصْفِ الدنيا قولُ ابنِ الوردِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

اطْـرَحِ الـدنيا؛ فمـن عاداتِهـا ... تَخْفـيضُ العـالي وتُعْلـي مـن سَـفَلْ
عيشَـةُ الرَّاغِـبِ في تحصـيلها ... عيشَـةُ الجاهِـلِ فيهـا أو أقَـلْ
كـم جَهُـولٍ بـاتَ فيهـا مكثـرًا ... وعلـيمٍ بـاتَ منهـا في عِلَـلْ
كـم شُـجاعٍ لـم ينـلْ منهـا المُنَـى ... وجبـانٍ نـالَ غايـاتِ الأمَـلْ»[4]

---

(١) «مجموعة القصائد الزهدية» (٢/ ٣٣٣).
(٢) (صحيح) أخرجه أحمد (٢/ ٣٥٨)، وصححه الألباني في «الصحيحة» (١٣٥٩).
(٣) (صحيح) أخرجه ابن ماجه (٢/ ٥٢٤ - ٥٢٥) وصححه الألباني في «الصحيحة» (٩٥٠).
(٤) انظر كتابي: «منتقى الأشعار» (١/ ١٦).

٧- اجتنابُ المعاصي:

أنـا الـذي أغْلَـقَ الأبـوابَ مجتهـدًا ... على المعاصـي وعـينُ اللهِ تنظـرني[١]

ومن أسبابِ الفراسةِ اجتنابُ المعاصي؛ لأَنَّ الفراسةَ نورٌ والمعاصي ظلماتٌ تَحُولُ دونَ رؤيةِ النُّورِ.

قال ابنُ القيمِ رَحِمَهُ اللهُ: «ومن عقوبتِها - أي المعاصي -: أنها تُعْمي بصيرةَ القَلْبِ، وتَطْمِسُ نُورَهُ، وتسُدُّ طريقَ العلمِ، وتَحْجُبُ موارِدَ الهدايَةِ»[٢].

إنَّ المعاصـي لا تقـيمُ بمنـزلٍ ... إلا لتجعـلَ منـه قاعًـا صَفْصَـفَا

ولـو أَنَّنـي داويـتُ معطـبَ دائِهـا ... بمـراهِمِ التقـوى لرافَقْـتُ الشِّـفَا[٣]

٨- مخالفةُ الهوى:

قضى اللهُ ربُّ العـرشِ فيمـا قضى بِـهِ ... بأَنَّ الهـدى يُعْمي القلـوبَ ويُبْكِمُ[٤]

من أسبابِ اكتسابِ الفراسةِ مخالفةُ الهوى؛ لأَنَّ مَنْ خالَفَ هواه سَلِمَ له قلبُهُ واستنارتْ بصيرتُهُ؛ لأَنَّ الهوى يُعمي ويُصِمُّ، ويجعلُ صاحبَهُ يرى المنكرَ معروفًا، والمعروفَ منكرًا قال اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ ٱللَّهِ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [الجاثية: ٢٣].

قال قتادَةُ رَحِمَهُ اللهُ: «إنَّ الرَّجُلَ إذا كان كُلَّما هوى شيئًا رَكِبَهُ، وكُلَّما اشتهى شيئًا أتاه

---

(١) مجموعة القصائد الزهديات (١/ ١٧٢).

(٢) «الجواب الكافي» (١١٠ - ١١١).

(٣) «مجموعة القصائد الزهدية» (١/ ٤٦٢).

(٤) «مجموعة القصائد الزهدية» (١/ ١١٢).

لا يَحْجُرُهُ وَرَعٌ ولا تقوى، فقد اتَّخذ إلهَهُ هواهُ»[١].

ويعجبني الذي يقول:

فـالْزَمْ عَفَافًـا ولا تَتْبَـعْ طريـقَ هـوًى ... إنَّ الهَـوَى لِلْـوَرَى يـا صـاحِ غَـرَّارُ

واذْكُـــرْ إلهًـــا لَـــهُ فِي خَلْقِـــهِ مِـــنَنٌ ... تَجْرِي على النَّاسِ مِنْ جدواه أنْهارُ[٢]

٩- التقرُّبُ إلى اللهِ بالنوافِلِ:

علـى الخَمْـسِ توديعًـا بجـدٍّ فَصَـلِّهَا ... وحـافِظْ علـى تلـكَ النَّوافِـلِ كُلِّهَـا[٣]

من أسبابِ الفراسةِ التَّقَرُّبُ إلى اللهِ بالنوافِلِ؛ لأَنَّ من تقرَّبَ إلى اللهِ بالنوافِلِ فقد سَلَكَ الطريقَ الموصِلَ إلى محبةِ اللهِ، ونيلِ رضاه ومن كان هذا حالَهُ كيف لا يُبْصِرُ بعينِ قَلْبِهِ.

قال ابنُ القيمِ رَحِمَهُ اللَّهُ: «إن القلبَ إذا قَرُبَ من اللهِ انقطعتْ عنه معارضاتُ السُّوءِ المانِعَةُ من معرفةِ الحقِّ وإدراكِهِ، وكان تلقِّيهِ من مشكاةٍ قريبةٍ من اللهِ بِحَسْبِ قُرْبِهِ منه، وأضاءَ له النُّورُ بقَدْرِ قُرْبِهِ، فرأى في ذلك النُّورَ ما لَمْ يَرَهُ البعيدُ والمحجوبُ، كما ثبتَ في «الصحيح»[٤] من حديثِ أبي هريرةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبيِّ ﷺ فيما يرويهِ عن ربِّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أنَّه قال: **«ما تقرَّبَ إليَّ عبدي بِمثْلِ ما افْتَرَضْتُه عليه، ولا يزالُ عبدي يتقرَّبُ إليَّ بالنَّوافِلِ حتَّى أُحِبَّهُ فإذا أحببْتُهُ كنتُ سَمْعَهُ[٥] الذي يَسْمَعُ به، وبَصَرَهُ الذي يُبْصِر به[٦] ويَدَهُ التي يَبْطِشُ**

---

(١) تفسير ابن رجب (٢/ ٢٥١).

(٢) «المرجع السابق» (١/ ٥٠٥).

(٣) «مجموعة القصائد الزهدية» (١/ ٤٤٧).

(٤) «رواه البخاريُّ» (٦٥٠٢).

(٥) «**كنت سمعَه**»: أي: سدَّدْتُهُ في كُلِّ ما يسمعُ فلا يسمعُ إلا الخَيْرَ.

(٦) «**وبصره الذي يبصرُ به**» أي: فيما يرى، فلا يرى إلا ما فيه الخيرُ.

بها[١] ورجلَهُ التي يمشي بها[٢]، فبي يَسْمَعُ، وبي يُبْصِرُ وبي يَبْطِشُ وبي يمشي».

فأخبرَ ﷻ أن تقرَّبَ عبدِهِ منهُ يُفيدُ محبَّتَهُ لَهُ، فإذا أَحَبَّهُ قَرُبَ من سَمْعِهِ وبَصرِهِ ويَدِهِ ورجْلِهِ فَسَمِعَ بِهِ، وأبْصَرَ بِهِ وبَطَشَ بِهِ، ومشى بِهِ.

فَصَارَ قَلْبُهُ كالمرآةِ الصافيةِ تبدو فيها صُورُ الحقائِقِ على ما هي عليه، فلا تكادُ تخطئُ له فراسَةٌ، فإنَّ العبدَ إذا أَبْصَرَ باللهِ أَبْصَرَ الأَمْرَ على ما هو عليه، فإذا سَمِعَ باللهِ سيسمَعهُ على ما هو عليه، وليسَ هذا من علمِ الغيبِ بَلْ علامُ الغيوبِ قَذَفَ الحقَّ في قلبٍ قريبٍ مستبشَرٍ بنورِهِ غير مشغولٍ بنقوشِ الأباطيلِ والخيالاتِ والوساوسِ، التي تمنعُهُ من حصولِ صُور الحقائِقِ فيه، وإذا غَلبَ على القلبِ النُّورُ، فاضَ على الأركانِ، وبادَرَ من القلبِ إلى العينِ، فكَشَفَ بعينِ بصرِهِ بحسب ذلك النورِ»[٣].

١٠- الإكثارُ من ذكر اللّهِ[٤]:

لَوْ يَعْلَمُ الْعَبْدُ ما في الذِّكْرِ مِنْ شَرَفٍ أَمْضَى الْحيَاةَ بِتَسْبِيحٍ وتَهْلِيلِ

الإكثارُ من ذكرِ اللهِ من أعظمِ أسبابِ حصولِ الفراسةِ الإيمانيَّةِ؛ لأَنَّهُ يَصْقُلُ القلبَ ويُزيلُ عنه الغِشاوةَ وتَنْقشِعُ بِهِ الظُّلماتُ عن الأبصارِ فيرى بنورِ اللهِ ﷻ.

والذكرُ مفتاحٌ لكلِّ خيرٍ ينالُهُ العبدُ في الدُّنيا والآخرةِ فمتى أعطى اللهُ العبدَ هذا المفتاحَ فقد أرادَ أَنْ يفتَحَ لَهُ، ومتى أَضَلَّهُ بقي بابُ الخيرِ مُرْتجًا عليه.

---

(١) «**ويده التي يبطش بها**»: أي سدَّدْتُهُ في بطشِهِ وعملِهِ بيدِهِ، فلا يعملُ إلا ما فيه الخيرُ.

(٢) «**ورجله التي يمشي بها**»: أي سدَّدتُهُ في مشيه فلا يَمْشِي إلَّا إلى الخير.

(٣) «الروح» (٣٣٨).

(٤) انظر كتابي «مقاليد السماء» يدلك على الذكر ويرشدك إليه، ويحببه إليك.

بل الذكرُ كما يقولُ ابنُ القيِّمِ رَحِمَهُ اللَّهُ: «منشورُ الوَلايَةِ، من أُعْطيَهُ اتَّصَلَ ومن مُنِعَهُ عُزِلَ»(١).

١١- الأخلاقُ الْحَسَنَةُ:

فإنَّمـــا الفضـــلُ في علـــمٍ وفي أدَبٍ وفي مكـارِمَ تَجْلُـو صِـدْقَ مُفْتَخِـرِ(٢)

من أسبابِ الفراسةِ التخلُّقُ بالأخلاقِ الحسنةِ في الظاهِرِ والباطنِ؛ لأنَّ الأخلاقَ الحسَنَةَ عبادةٌ عظيمةٌ ينالُ بها العبدُ رفيعَ الدَّرجاتِ.

فعن عائشةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: قال رسولُ اللهِ ﷺ: «**إنَّ العبدَ ليبلغُ بحُسْنِ خُلُقِهِ درجةَ الصائِمِ القائِمِ**»(٣).

وحَسْبُكَ أنَّ الأخلاقَ الحسنةَ أثقلُ شيءٍ في ميزانِ العبدِ يومَ القيامةِ وبه يحصُلُ الْقُرْبُ من رسولِ اللهِ ﷺ فعن أبي الدرْداءِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ: «**ما مِن شيءٍ أثقَلُ في ميزانِ العبدِ يومَ القيامَةِ من حُسْنِ الْخُلقِ**»(٤).

وعن جابرِ بنِ عبدِ اللهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ: «**إنَّ مِنْ أحبِّكم إليَّ وأقربِكم مني مجلسًا يومَ القيامَةِ أحاسِنكُمْ أخلاقًا**»(٥).

---

(١) «مدارج السالكين» (٢/ ٤٤).

(٢) «مجموعة القصائد الزهدية» (١/ ٢٩٥).

(٣) (صحيح) أخرجه أبو داود (٤٧٩٨) وصحَّحَه الألباني في «الصحيحة» (٧٩٥).

(٤) (صحيح) أخرجه أحمد (٦/ ٤٤٦ - ٤٤٨)، وصححه الألباني في «الصحيحة» (٨٧٦).

(٥) (حسن) أخرجه أحمد (٤/ ١٩٣ - ١٩٤)، عن أبي ثعلبة الخشني، والترمذي (٢٠١٨) عن جابر والخرائطي عن جابر - أيضًا - واللفظ له وحسنه الألباني في «الصحيحة» (٧٩١).

بل صاحبُ الأخلاقِ الحسنةِ من خيرِ الناسِ لحديثِ عبدِ اللهِ بْنِ عمرٍو رضي الله عنهما قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ: «**خيارُكم أحاسِنُكُمْ أخْلاقًا**»(١).

١٢- الصدقُ(٢):

عَـوِّدْ لسـانَك قـولَ الصـدقِ تَحْـظَ بِـهِ ... إنَّ اللسـانَ لِمـا عَـوَّدْتَ معتـادُ(٣)

ومن أسبابِ الفراسةِ الصِّدْقُ في الأقوالِ والأفعالِ فالصادقُ يَطْمَئِنُّ إليه القلبُ وترتاحُ له النَّفْسُ ويَنْشَرِحُ له الصدرِ، والكاذبُ بالضِّدِّ من ذلك.

فعن الحَسَنِ بنِ عليٍّ رضي الله عنهما قال: حفظتُ من رسولِ اللهِ ﷺ: «**دَعْ ما يريبُكَ**(٤) **إلى ما لا يرِيبُكَ، فإنَّ الصِّدْقَ طُمَأْنينةٌ والْكَذِبَ رِيبةٌ**»(٥).

١٣- تحري الحلالِ:

فـلا تَصْـحَبَنَّ النَّـاسَ إلا بحالـةٍ ... تصيبُ حلالَ الرزقِ أو تَكْسِبُ الأجْرَا(٦)

أكلُ الحلالِ من أعظمِ أسبابِ اكتسابِ الفراسةِ؛ لأَنَّهُ ينيرُ القلبَ، كما أنه من أسبابِ قبولِ العملِ الصالحِ وإجابةِ الدعاءِ.

---

(١) رواه البخاري (٣٥٥٩)، ومسلم (٢٣٢١).

(٢) انظر كتابي «تاج المروءة» الصدق والكذب ففيه إيضاح وبيان لمن أراد المزيد.

(٣) زهرة الأكم (٢/ ٢٩٩).

(٤) ما يريبك من الريب وهو الشك أو التهمة، ويروى بفتح الياء وضمها.

(٥) (صحيح) أخرجه الترمذي (٢٥١٨) واللفظ له وقال: حديث حسن صحيح. والنسائي (٨/ ٣٢٧ - ٣٢٨) وصححه الألباني في إرواء الغليل (٢٠٧٤).

(٦) «مجموعة القصائد الزهدية» (٢/ ٢١٩).

ففي «صحيحِ مسلمٍ»(١) من حديثِ أبي هريرةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ: «**أيها الناسُ، إن اللهَ طيبٌ، لا يقبلُ إلا طَيِّبًا وإنَّ اللهَ أَمَرَ المؤمنين بما أَمَرَ به المرسلين فقال:** ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعۡمَلُواْ صَٰلِحًاۖ إِنِّي بِمَا تَعۡمَلُونَ عَلِيمٞ ٥١﴾ [المؤمنون: ٥١]، **وقال:** ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ﴾ [البقرة: ١٧٢]، **ثم ذكر الرجُلَ يطيلُ السَّفَرَ، أَشْعَثَ أَغْبَرَ، يمدُّ يدَيْهِ إلى السماءِ، يا رَبِّ! ومطعَمُهُ حرامٌ، ومَشْرَبُهُ حرامٌ، ومَلْبَسُهُ حرامٌ، وغُذِّيَ بالحرامِ، فأَنَّى يُسْتجابُ لذلك**».

فأنتَ ترى أَنَّ هذا الرَّجُلَ قد جَمَعَ من صفاتِ الذُّلِّ والمسكنَةِ والحاجةِ والفاقَةِ إلى رَبِّهِ ما يؤكِّدُ شِدَّةَ افتقارِهِ، ولكنَّهُ حَرَمَ نَفْسَهُ من مَدَدِ اللهِ وفَضْلِهِ، وقَطَعَ صلتَهُ بربِّهِ وحالَ بينَهُ وبينَ قبولِ دعائِهِ ما هو عليه من استعمالِ الحرامِ في المأكلِ والمشربِ والْمَلْبسِ فماذا بقيَ للعبدِ إذا انقطعَتْ عنه صِلَتُهُ بِرَبِّهِ وحُجِبَ دعاؤه وحالَ بينَهُ وبين رحمةِ ربِّهِ».

١٤- مراقبةُ اللّهِ:

مـــن لا يراقِـــبْ ربَّـــهُ ويخافُـــهُ تَبَّـــتْ يـــداهُ ومـــا لَـــهُ مـــن والِ(٢)

من أسبابِ اكتسابِ الفراسةِ الإيمانيةِ مراقبةُ اللهِ، والمراقبةُ كما عَرَّفَها ابنُ القيمِ: «دوامُ علمِ العبد وتَيَقُّنِهِ باطلاعِ الحَقِّ ﷻ على ظَاهِرِهِ وَبَاطِنِهِ»(٣).

والمراقبةُ هي حقيقةُ الإحسان وروحُهُ.

وقد فَسَّرَ النبيُّ ﷺ الإحْسَانَ حِينَ سَأَلَهُ جِبريلُ - صلواتُ اللهِ وسلَامُهُ عَلَيْهِ -،

---

(١) «رواه مسلم» (١٠١٥).

(٢) مجموعة القصائد الزهدية (٢/ ١٥١).

(٣) «مدارج السالكين» (٢/ ٦٨).

فقال: «هُوَ أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كأَنَّكَ تراهُ، فإِنْ لم تَكُنْ تراهُ فإِنَّه يَراكَ»(١).

أراد بالإحسانِ الإشارةَ إلى المراقبةِ وحُسْنِ الطاعَةِ؛ فإنَّ مَنْ راقَبَ اللهَ أَحْسَنَ عَمَلَهُ وتَرَكَ الالتفاتَ لغيرِ اللهِ ﷻ ومن كان كذلك قويت فراسَتُهُ.

١٥- غَضُّ الْبَصَرِ(٢):

وَغُــضَّ مِــن طَرْفِــكَ إن خِفْتَــهُ فحاجــب الشــهوةِ غــضُّ البصــرْ(٣)

من أسباب اكتسابِ الفراسةِ الإيمانيَّةِ غَضُّ البَصَرِ قال ابنُ القَيمِ رَحِمَهُ اللهُ أثناءَ ذكرِهِ فوائدَ غَضِّ البَصَرِ: «الفائدةُ الثانيةُ: في غَضِّ البصرِ نورُ القلبِ وصِحَّةُ الفراسةِ».

قال شجاعُ الكرمانيُّ رَحِمَهُ اللهُ: «من عَمَرَ ظاهِرَهُ باتباعِ السُّنَّةِ، وباطنَهُ بدوامِ المراقبةِ، وكفَّ نفسَهُ عن الشهواتِ، وغضَّ بصرَهُ عن المحارمِ، واعتادَ أَكْلَ الحلالِ، لم تُخطئْ له فراسةٌ»(٤).

وقد ذكر اللهُ ﷻ قصةَ قومِ لوطٍ وما ابتُلوا به، ثم قال بعد ذلك: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ ﴿٧٥﴾﴾ [الحِجْرُ: ٧٥]، وهم المتفرِّسون الذين سَلِموا من النَّظَرِ المحرَّمِ والفاحشةِ، وقال تعالى عَقِيبَ أمرِهِ بغضِّ أبصارِهم وحفظِ فروجِهم: ﴿۞ اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [النورُ: ٣٥].

وسِرُّ هذا أن الجزاءَ من جِنْسِ العَمَلِ، فمَنْ غضَّ بَصَرَهُ عما حرَّمَهُ اللهُ عَوَّضَهُ اللهُ

(١) رواه البخاري (٥٠)، ومسلم (٩٠) عن أبي هريرة.

(٢) انظر كتابي «فتنة النظر» ففيه ما يكفي ويشفي لمن أراد الاستزادة والتوسع في هذا الباب.

(٣) دواوين الشعر (٢٧/ ٨٩).

(٤) «صفة الصفوة» (٤/ ٦٧).

من جنسِهِ ما هو خيرٌ منه؛ فكما أمسَك بَصَرَهُ عن المحرماتِ، أطلقَ اللهُ نورَ بصيرتِهِ وقلبِهِ، فرأى به ما لمْ يَرَهُ من أطلق بصرَهُ ولم يَغُضَّهُ عن محارمِ اللهِ، وهذا أمر يَحسُبُه الإنسانُ من نفسِهِ فإنَّ القلبَ كالمرآةِ والهوى كالصَّدأِ فيها، فإذا خَلُصَتْ من الصَّدَأِ انطبعتْ فيها صُوَرُ الحقائقِ كما هي عليه، وإذا صَدِئَتْ لم ينطبع فيها صورُ المعلوماتِ، فيكونُ علمُهُ وكلامُهُ من باب الْخَرْصِ والظنونِ»[1].

(١) إغاثة اللهفان (١/ ٧٦ – ٧٧).

موانعُ اكتسابِ الفراسةِ

موانع اكتسابِ الفراسةِ كثيرةٌ وسوفَ أذكُرُ أهمَّها فمن تلك الموانعِ ما يأتي:

١- المعاصي:

يزيـدُ التُّقَـى ذا الحسـنِ حُسْـنًا وبهجـةً ... وأما المعاصي فهي للحسنِ تَسْلِبُ(١)

المعاصي تُخَرِّبُ الديارَ العامرةَ وتسلبُ النعمَ الباطنةَ والظاهرةَ ومن ذلك الفراسةُ فمن أدْمَنَ المعاصي أظلمَ قلبُهُ فلا يرى حقائقَ الأمورِ كما هي وهذا مما يعاقبُ بِهِ الناسُ على المعاصي.

فيا من تمادى في المعاصي ولم يَخَفْ ... عظيمًـا شـديدَ الـبطشِ إنـك مغتـرا
فهـادم لـذَّاتِ الـورى في نحـورِكم ... ومِـنْ خلفِكـم حـادٍ لـه يهـدمُ العمـرا
ومـا هـذه الـدنيا بـدارِ إقامـةٍ ... سترحَلُ عن دنياكَ هذي إلى الأُخْرَا(٢)

٢- إهمالُ تزكيةِ النفسِ:

ألا إنَّ تقـوى اللهِ خيـرُ بضـاعةٍ ... لصـاحِبِها رِبـحٌ بهـا لـيس يَخْسَـرُ(٣)

متى أهملَ العبدُ تزكيةَ نفسِهِ ابتُلِيَ بذهابِ الفراسةِ منه.

وتزكيةُ النفسِ تكونُ بما جاءَ بِهِ الرسولُ ﷺ من العلمِ والحكمةِ قال اللهُ ﷻ: ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ

(١) «مجموعة القصائدِ الزهدياتِ» (١/ ٥٥١).
(٢) «المرجعُ السابقُ» (٢/ ٢٠٠).
(٣) «مجموعةُ القصائدِ الزهديَّةِ» (١/ ٤٠٦).

وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢﴾ [الجمُعَة: ٢].

وما أجملَ قولَ القائِلِ:

ومـن رَامَ في سُـوقِ المعـالي تجـارةً فلـيس سِوَى تقـوى الإلـهِ نُقُودُهَـا(١)

٣- الكذبُ:

الكِـذْبُ عـارٌ وخيـرُ القـولِ أصـدقُهُ والحـقُّ مـا مسَّـه مِـنْ باطـلٍ زَهَقَـا(٢)

ومن موانِعِ اكتسابِ الفراسةِ الكذبُ والكذبُ هو الإخبارُ بالشيءِ على خِلافِ ما هو عليه سواءً أكانَ عمْدًا أم خطأً(٣) وهو من كبائِرِ الذنوبِ(٤) وخَصْلَةٌ مِنْ خصَالِ النِّفاقِ فعن عبدِ اللهِ بن عمرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أنَّ النبيَّ ﷺ قال: «**أَرْبَعٌ مَنْ كنَّ فيه كان مُنَافقًا خَالِصًا، وَمَنْ كَانَ فيه خَصْلَةٌ مِنْهُنَّ كانت فيه خَصْلَةٌ مِنَ النِّفَاقِ حتَّى يَدَعَهَا: إذا ائتُمِنَ خَانَ وإذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وإذا عَاهَدَ غَدَرَ، وإذا خَاصَمَ فجَرَ**»(٥).

وما من شَكٍّ أنَّ الفراسةَ إنما تحصلُ من صَفاءِ القلبِ، والكذبُ يسري من اللسانِ إلى القلبِ فيفسدُهُ فكيفَ يحصلُ منه نورُ الفراسةِ.

قال ابنُ القيمِ رَحِمَهُ اللَّهُ: «إنَّ أوَّلَ ما يسري الكذبُ مِنَ النَّفْسِ إلى اللسانِ فَيُفْسِدُهُ، ثُمَّ يسري إلى الجوارحِ فَيُفْسِدُ عليها أعمالَها يَعُمُّ الكذبُ أقوالَهُ وأعمالَهُ وأحوالَهُ،

---

(١) «المرجعُ السابقُ» (٢/ ١٨٣).

(٢) «الظرف والظرفاء» لأبي الطيب الوشاء (٤٢).

(٣) «فتح الباري» (٦/ ٢٤٢).

(٤) انظر: «الزواجر» (١٢٤ - ١٢٥) للهيتمي.

(٥) رواه البخاري (٣٤)، ومسلم (٥٨).

فيستحْكِمُ عليه الفسادُ ويترامى داؤُهُ إلى الهلكةِ»[١].

ويعجبني الذي يقولُ:

لا يكــذبُ المــرءُ إلا مــن مهانتِــهِ ... أو عــادةِ الســوءِ أو مــن قلــةِ الأدبِ

لــبعضُ جيفــةِ كلــبٍ خيــرُ رائحــةٍ ... مــن كذبــةِ المــرءِ في جــدٍّ وفي لعــبِ[٢]

٤- الغفلةُ:

فكَــمْ نــائمٍ في أوَّلِ الليــلِ غافــلٍ ... أتــاه الــرَّدَى في قومِــهِ وهــو صــابحُ[٣]

من موانِعِ اكتسابِ الفراسةِ الغفلةُ وهي فَقْدُ الشعورِ بما حَقُّه أن يُشْعَرَ به[٤] فكيفَ تحصلُ الفراسةُ من غافلٍ عن اللهِ والدارِ الآخرةِ لا يستشعرُ ما للهِ عليه من حقٍّ وأنَّ أمامَهُ أهوالًا عظامًا ابتداءً من القبرِ وأهوالِهِ حتى دخولِ الجنةِ أو النارِ أعاذَنا اللهُ وإياكم من عذابِهِ.

هيهاتَ أن يبصرَ الغافلُ أنوارَ الفراسةِ ما دام «بينَهُ وبين اللهِ وحْشَةٌ لا تزولُ إلا بالذكْرِ»[٥].

فعن يسيرةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: قال لنا رسولُ اللهِ ﷺ: «**عليكُنَّ بالتسبيحِ والتهليلِ، والتقدِيسِ، واعْقدْنَ بالأنامِلِ، فإنَّهُنَّ مسؤولاتٌ، مستنطقاتٌ، ولا تَغْفُلْنَ فتَنْسَيْنَ الرَّحْمَةَ**»[٦].

---

(١) الفوائد (١٨٧).

(٢) «مجمع الحكم والأمثال» لأحمد قبش (٤٣٠).

(٣) القصائد الزهدية (٢/ ٢٦).

(٤) «التوقيف على مهمات التعاريف» (٥٤٠).

(٥) «الوابل الصيب» (٦٢).

(٦) (حسن) أخرجه الترمذي (٣٥٨٣) وحسنه الألباني في «صحيح الترمذي» (٢٨٣٥).

فتأمَّلْ إلى أمرِ النبيِّ ﷺ النساءَ بالذكرِ وتحذيرِهنَّ من الغفلةِ لئلا ينسينَ الرحمةَ التي متى حَلَّتْ في قلبٍ اسْتنارَ بنورِ ربِّهِ.

يـــا غـــافلًا عـــن ســـاعة مقرونـــةٍ ... بنـــوادبٍ وصـــوارخٍ وثواكـــلِ

قـدم لنفسـك قبـل موتـك صـالحًا ... فالموتُ أسرعُ من نـزولِ الهاطـلِ[1]

(١) القصائد الزهدية (٢/ ١١٥).

الفراسة الخَلْقيةُ (الكسبيَّةُ)

فِراســـةٌ أيقظَـــك المَجْـــدُ لهـــا وفطنـــةٌ علـــى ســـواكَ تعـــزُبُ[١]

قد ذكرَ أهلُ العلمِ الفراسةَ الخَلْقيَّةَ (الكسبيَّةَ) كما ذكروا الفراسةَ الإيمانيةَ ومنهم من كان يرحَلُ في طلبِ الفراسةِ الكسبيةِ وتعلمها من أهلِها المشهورين بها كما فعل الشافعيُّ حين رحلَ إلى اليَمَنِ لتعلُّمِ الفراسَةِ.

وقد قسَّم ابنُ الأثيرِ رَحِمَهُ اللَّهُ الفراسةَ إلى قسمين:

أحدُهما: ما دَلَّ ظاهِرُ هذا الحديثِ - وهو ما يوقعهُ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى في قلوبِ أوليائِهِ فيعلمون أحوالَ بعضِ النَّاسِ بنوعٍ من الكراماتِ، وإصابةِ الظَّنِّ والحَدْسِ.

والثاني: نوع يُتَعَلَّم بالدَّلائِل والتجارُبِ والأَخلاقِ فتُعْرَفُ به أحوالُ النَّاسِ، وللناسِ فيه تصانيفُ قديمةٌ وحديثةٌ.

ومن الأدلةِ التي كان السلفُ يستدِلُّون بها على الفراسةِ الخلقيةِ استدلالُهم بحُسْنِ الخِلْقَةِ وسلامةِ الحواسِّ على صحَّةِ الباطِنِ وكرائِمِ الأخلاقِ كما استدلُّوا برداءَةِ الشَّكلِ على رداءَة الطَّبعِ وهذا واقعٌ ما لَهُ من دافعٍ وحَذَّرُوا من أصحابِ العاهةِ الخلقيَّةِ وخَاصةً من وُلِدَ بها! ونحنُ بَلَوْنا ذلك فوجدْنا الخبرَ يصدِّقُهُ الخَبَرُ.

ومن تلكَ الأدلَّةِ حديثُ بُريدةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إذا أبردْتُمْ إليَّ بريدًا فابْعثوهُ حَسَنَ الوَجْهِ حَسَنَ الاسمِ**»[٢].

---

(١) «ديوان مهيار الديلمي» (١٦٤).

(٢) (صحيح) أخرجه البزارُ في «مسنده» (٢٤٢) وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٢٥٩)، و«الصحيحة» (٣/ ١٨٢).

قال المناويُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «الجمالُ يدلُّ - غالبًا - على فضيلةِ النَّفسِ إذْ نُورُ النَّفْسِ إذا تمَّ إشراقُهُ فيها تعدَّى إلى البدنِ فالمنظَرُ والمخبَرُ كثيرًا ما يتلازمان ولذلك عَوَّلَ أهلُ الفِراسةِ في معرفةِ مكارمِ النَّفسِ على هيآتِ الْبَدَنِ وقالوا: الوجْهُ والعينُ مرآةُ الباطنِ ولذلك يظهرُ فيهما أثرُ الغضبِ والسرورِ والغَمِّ.

ومن ثَمَّ قيلَ: طلاقةُ الوجهِ عُنوانُ ما في النفسِ!»[1].

وحذَّرَ العلماءُ من ضدِّ ذلك الْحُسْنِ وخاصةً من برعوا في الفراسةِ وعُرفوا بها كالشافعيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ فإنَّهُ قال: «احذرِ الأعورَ، والأَحْولَ، والأعْرَجَ والأَحْدَبَ، والأشقرَ، والكوسجَ وكُلَّ مَنْ به عاهةٌ (خاصة من وُلِدَ بها) في بَدَنِهِ».

وقال ابنُ الجوزيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «أما الصُّورُ، فإنَّهُ متى صَحَّت البنيةُ ولم يكن فيها عيبٌ فالغالبُ صحةُ الباطنِ، وحُسْنُ الخُلُقِ، ومتى كان فيها عيبٌ فالعيبُ في الباطِنِ - أيضًا - فاحذرْ من بِهِ عاهَةٌ كالأقرعِ والأعمى، وغيرِ ذلك، فإنَّ بواطِنَهم في الغالبِ رديَّةٌ»[2].

(١) «فيض القدير» (١/ ٤٠١).

(٢) «صيد الخاطر» (٨٦).

كيفيَّةُ التَّفَرُّسِ

وكيـف أذودُ الْفَضْـلَ عـن مُسْـتَقرِّهِ وأنكـرُ ضـوءَ الشـمسِ بعـد توسُّـمِ[١]

المُتَفَرِّسُ إذا أرادَ ممارسةَ الفِراسةِ فيمَنْ يخاطِبُهُ، فلا بُدَّ أن يستعين بأعضائِهِ، فينظرَ إلى أفعالِهِ جَيِّدًا، ويُصْغِيَ إلى كلامِهِ بدقَّةٍ، ويمرِّرَ كُلَّ هذا على قلبِهِ فيجيزُ ويمنعُ حسْبَ قوةِ إدراكِهِ[٢].

قال ابنُ القيمِ رَحِمَهُ اللَّهُ: «وفِراسَةُ المتفرِّسِ تتعلَّقُ بثلاثَةِ أشياءَ: بعينِهِ، وأذُنه، وقَلْبِهِ، فعينُهُ للسيماءِ والعلاماتِ. وأُذُنُهُ للكلامِ وتصريحِهِ وتعريضِهِ، ومنطوقِهِ ومفهومِهِ، وفحواهُ وإشارتِهِ، ولحنِهِ وإيمائِهِ ونحوِ ذلكَ.

وقلبُه للعبورِ والاستدلالِ من المنظورِ والمسموعِ إلى باطنِهِ وخَفِيِّهِ، فَيَعْبُر إلى ما وراءَ ظاهِرِهِ، كعبورِ النُّقَّادِ من ظاهِرِ النقْشِ والسِّكَّةِ إلى باطِنِ النقْدِ والاطلاعِ عليه هَلْ هو صحيحٌ أو زَغِلٌ؟

وكذلك عبورُ المتفرِّسِ من ظاهر الهيئةِ والدَّلِّ، إلى باطنِ الروحِ والقلبِ؛ فنسبةُ نقدِهِ للأرواحِ من الأشباحِ كنسبةِ نقدِ الصَّيْرَفِيِّ ينظرُ للجوهَرِ من ظاهرِ السكَّةِ والنَّقْدِ، وكذلك نقدُ أهلِ الحديثِ، فإنَّهُ يمرُّ إسنادٌ ظاهرٌ كالشَّمسِ على متنٍ مكذوبٍ، فيخرجُهُ ناقدُهُم، كما يخرجُ الصيرَفي الزغلَ من تحت الظاهِرِ من الفِضَّةِ.

وكذلك فِراسةُ التمييزِ بين الصادقِ والكاذبِ في أقوالِهِ، وأفعالِهِ وأحوالِهِ»[٣].

---

(١) دواوين الشعر العربي (٢٦/ ١٥).

(٢) انظر «الفِراسةُ في القرآنِ الكريمِ» أ. د. عبد الشافي الشيخ (٣٦).

(٣) «مدارج السالكين» (٣/ ٣٦٧).

قواعدُ بينَ يَدَيِ الفِراسةِ الخَلْقيَّة

ألا إنمـــا العليـــا قواعِـــدُ ســـؤددٍ لـــك اللهُ أرســـاها فمـــن ذا يزيلُهـــا[١]

١- معرفةُ أصلِ الفِراسةِ الخَلْقيَّةِ:

قال ابنُ القَيِّمِ رَحِمَهُ اللَّهُ: «وأصلُ هذه الفِراسةِ: أنَّ اعتدالَ الخِلقَةِ والصورةِ هو من اعتدالِ المزَاجِ والروحِ، وعن اعتدالِها يكونُ اعتدالُ الأخلاقِ والأفعالِ، وبحَسْبِ انحرافِ الخلْقَةِ والصورةِ عن الاعتدالِ يقعُ الانحرافُ في الأخلاقِ والأعمالِ. هذا إذا خُلِّيت النفسُ وطبيعَتَها[٢]»[٣].

٢- معرفةُ أن الطباعَ قد تَتغيرُ:

قال ابنُ القيمِ رَحِمَهُ اللَّهُ: صاحبُ الصورةِ والخِلقةِ المعتدلةِ يكتسبُ بالمقارنةِ والمعاشرةِ أخلاقَ من يقارنُهُ ويعاشرُهُ، ولو أنهُ من الحيوانِ البَهيم[٤] فيصيرُ من أخبثِ الناسِ أخلاقًا

---

(١) دواوين الشعر العربي (٢٥/ ١٢٢).

(٢) إذا خُلِّيت وطبيعتها: أي إذا بَقَيتْ على طبيعتها الأولى ولم يحاولْ صاحبُها تغييرًا من طباعِهِ بالرياضةِ ومجالسةِ أهل الخَيرِ والصلاحِ فإن الطباعَ تتغَيَّر.

(٣) «مدارج السالكين» (٣/ ٣٦٦).

(٤) هذه أدلةٌ وبراهينُ ساطعةٌ ففي «البخاري» (٣٣٠١)، ومسلم (٥٢) من حديثِ أبي هريرةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**رأسُ الكفرِ نحوَ المشْرِقِ، والفخرُ والخُيَلاءُ في أهلِ الخَيْلِ والإبلِ والفدادين أهلِ الوَبْرِ، والسكينةُ في أهلِ الغَنمِ**».

ولله درُّ شيخِ الإسلامِ ابن تَيْمِيَّةَ رَحِمَهُ اللَّهُ حينَ قال كما «في اقتضاءِ الصراط» (٤٨٧):

«الآدميُّ إذا عاشرَ نوعًا من الحيوانِ اكتسبَ بعضَ أخلاقِهِ؛ ولهذا صَارتِ الخُيلَاءُ والفَخْرُ في أهلِ الإبلِ، وصارت السَّكينةُ في أهلِ الغَنَمِ، وصار الجمَّالُون والبغَّالون فيهم أخلاقٌ مذمومةٌ

وأفعالًا، وتعددُ له تِلكَ طباعًا، ويَتعذَّرُ - أو يَتعسَّرُ - عليه الانتقالُ عنها.

وكذلك صاحبُ الخِلقةِ والصورةِ المنحرفةِ عن الاعتدالِ يكتسبُ بصُحْبةِ الكاملين بخِلطتهم أخلاقًا وأفعالًا شريفَةً، تصير له كالطبيعةِ، فإن العوائدَ والمزوالاتِ تعطي الملكاتِ والأخلاقَ»[1].

٣- الأُلْفَةُ[2]:

الأُلْفَةُ توقفُك على حقيقةِ من تتفرَّسُ فيه هل هو باقٍ على طَبْعِهِ الأولِ فتحكُمَ عليه

= من أخلاقِ الجمالِ والبغال، وكذلكَ الكلَابُّون، وصار الحيوانُ الإنسيُّ فيه بعضُ أخلاقِ الناسِ من المعاشرَةِ والمؤالفة وقلَّةِ النَّفْرَةِ، فالمشابهةُ في الأمورِ الظاهرةِ توجبُ المشابهةَ في الأمورِ الباطنةِ على وَجْهِ المُسَارقة والتدرُّجِ الخفيِّ» اهـ.

قلتُ: قد عوَّل على ذلك أصحابُ الفراسة فألحَقوا الصاحبَ بالصاحب وحتى لو كان هذا الصاحبُ حيوانًا بهيمًا على قاعدةِ «قُلْ لي من تُصَاحبُ أقُلْ لك مَن أنت» يشهدُ له الحديثُ المتقدمُ!

(١) «مدارج السالكين» (٣/ ٣٦٦).

(٢) الألفةُ قاعدةٌ ذهبيةٌ في معرفةِ طباعِ الناسِ وأخلاقِهم ويتعدَّى ذلك لمذاهبِهِمْ، وأفْكارِهم وعلى ذلك أدلةٌ ففي «صحيح البخاري» (٣٣٣٦) عن عائشةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالَتْ: قال رسولُ اللهِ ﷺ: «**الأرواحُ جنودٌ مُجنَّدةٌ** (أي جموعٌ مجمَّعةٌ)، **فما تعَارفَ** (أي توافقَتْ صفاتُها، وتناسبتْ أخلاقُها) **منها ائتلَفَ** (من الألفةِ وهي المحبةُ) **وما تنافر منها اختلفَ**» (أي تباعدَ) وهو أيضًا - في «مسلم» (٢٦٣٨) من حديث أبي هُرَيْرةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال الحافظُ رَحِمَهُ اللَّهُ في «الفتح» (١٠/ ٤٢٦): «قال الخطابيُّ: يُحْتملُ أن يكونَ إشارةً إلى معنى التَّشاكُلِ في الخيرِ والشرِّ، والصلاحِ والفساد، وأن الخيِّرَ من الناس يَحِنُّ إلى شكلِهِ، والشريرَ نظيرُ ذلك، يميلُ إلى نظيرِهِ؛ فتعارفُ الأرواحِ يقَعُ بحَسْبِ الطباعِ التي جُبِلَتْ عليها من خيرٍ وشرٍّ فإذا اتَّفقتْ تعارفتْ وإذا اختَلفتْ تناكرت.

قلتُ - أي ابنُ حَجَرٍ - ولا يُنكر عليه أن بعضَ المتنافرين رُبَّما ائتلفا؛ لأنَّهُ محمولٌ على مبدإ التلاقي فإنَّه يتعلَّقُ بأصلِ الخِلْقةِ بغيرِ سببٍ، وأما في ثاني الحالِ فيكونُ مكتسبًا؛ لتجدُّدِ وصفٍ يقتضي الألفةَ بعدَ النَّفْرَةِ كإيمانِ الكافرِ وإحسانِ المُسيءِ» اهـ.

أو أنه قد غيَّر من طباعِهِ فتكُفَّ عنه ومما يَختصرُ لك الطريقَ أن تسأَلَ عن أخِلَّائِهِ، وجُلسائه ومن يأنَسُ بهم هذا على الغالبِ، فإن كانوا هم سَفَلَةَ الناسِ فاعلمْ أَنَّ الطبع غلبَ التطبُّعَ وأنهُ باقٍ على ما هو عليه، وإنْ كان جلساؤه عِلْيةَ القوم وأشرافَهُم فلا تَتَعَجَّل في الحُكْمِ حتى ينضافَ إلى ذلك نفورُهُ من سَفَلَةِ الناسِ؛ لأنَّه قد قيلَ.

كُـلُّ امـرئٍ صـائرٌ يومًـا لشـيمَتِهِ ... وإنْ تَخَلَّـقَ أخلاقًـا إلـى حِـينِ

٤- الجمعُ بين علاماتِ الفِراسةِ:

إِنَّهُ متى جَمَعَ المرءُ بينَ العلاماتِ كان أقربَ إلى الصوابِ؛ لأنَّ علمَ الفِراسةِ سلسلةٌ مترابطةُ الحِلْقَةِ ومتى أهملَ بعضَ العلاماتِ أو القواعِدِ اختلفتْ أحكامُهُ ولا بُدَّ[1].

قال ابنُ القيمِ رَحِمَهُ اللَّهُ: فلْيتأَمَّلْ هذا الموضعَ ولا يَعْجَلْ[2] بالقضاءِ بالفِراسةِ دُونَهُ، فإن القاضي حينئذٍ يكونُ خطؤُهُ كثيرًا، فإن هذه العلاماتِ أسبابٌ لا موجبةٌ، وقد تختلفُ عنها أحكامُها لفواتِ شَرْطٍ، أو لوجودِ مانعٍ»[3].

٥- يحكمُ لأقوى العلاماتِ وأظهرها:

متى اجتمعت الدلائلُ المتضادَّةُ حكمَ بأقواها ورجَّحَ أظهَرها، بعدَ أن تعلَّمَ أن

---

(١) الفِراسةُ التي تعتمدُ على أصول معينةٍ كقولهم إن صِغَرَ العينين دليلٌ على المكرِ وما شابَهَ ذَلك أمرٌ غَيرُ مطرد ولكنَّها تقومُ على الاستقراءِ والإحصاء وعلى مجموعة من الإشارات والعلاماتِ يُسْتَدَلُّ بها ويُقوِّي بعضُها بعضًا فعلى الغَالبِ يكونُ الحكمُ وليس على التَّعميم ولكلِّ قَاعدةٍ شواذُّ.

(٢) أي: لا تعجلْ قَبْلَ الإلمامِ والنظرِ للأمرِ من جميع جوانِبِهِ.

(٣) «مدارج السالكين» (٣/ ٣٦٦ - ٣٦٧).

دلائلَ الوجْهِ والعينِ خاصةً أقوى الدلائل وأصَحُّها في الحدِّ الذي ينتهي إليه العلمُ بقياسِ الفِراسةِ[1].

(١) نوادرُ المخطوطاتِ لعبدِ السلام هارون «الرسالةُ المصريَّةُ» لأبي الصلتِ الأندلسيِّ (٨١) وقال عَقِبَ ذلك في نفسِ الكتاب والصفحةِ: «ويجري هكذا من الإنصافِ أن تعلمَ أن قياسَ الفراسة مقَدماتُهُ مأخوذَةٌ من مُشابَهاتٍ موجودةٍ بين أشخاص الناسِ، أَو من مشابهاتٍ موجودةٍ بين الحَيوانِ والإنسَانِ» اهـ.

صورٌ من الفراسة

١- فراسة المحبة:

لا أسـألُ النَّـاس عمـا في ضـمائِرِهم ... مـا في ضـميري لهـم مـن ذاك يكفيني

إذا شعرتَ بالمحبة مِن نفسكَ تِجاهَ شخصٍ ما فاعرفْ أَنَّه يشعرُ بمثلِ ما تَشعُرُ به دلَّ على ذلك حديثُ عائشةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: سمعتُ رسولَ اللهِ ﷺ يقولُ: «**الأرواحُ جنودٌ مجندَةٌ**(١) **فما تعارفَ**(٢) **منها ائتلفَ**(٣)**، وما تناكَرَ**(٤) **منها اختلفَ**(٥)»(٦).

قال البغويُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «في الحديث بيانُ أنَّ الأرواحَ خُلِقَتْ قبل الأجْسادِ، وأنَّها مخلوقَةٌ على الائتلافِ والاختلافِ: كالْجُنودِ المجنَّدَةِ إذا تقابلتْ وتواجَهَتْ، وذلك على ما جعلها اللهُ عليه من السعادةِ والشقاوةِ، ثُمَّ الأجسادُ التي فيها الأرواحُ تلتقي في الدُّنيا فتأتلفُ وتختلفُ على حسبِ ما جُعِلتْ عليه من التشاكُلِ والتَّنَاكُرِ في بدء الخلقِ، فترى البَرَّ الخَيِّرَ يُحِبُّ مِثْلَهُ، والفاجِرَ يألفُ شَكْلَهُ، ويَنْفُرُ كُلَّ مِنْ ضِدَّه»(٧).

---

(١) جُنودٌ مجنَّدَةٌ: جُمُوعٌ مجتمعةٌ، وأنواعٌ مختلفةٌ، والأرواح جمع رُوحٍ، وهو الذي يقومُ به الجَسَدُ، وتكونُ به الحياةُ.

(٢) تعارفَ: توافقتْ صفاتُها، وتناسبتْ في أخلاقِها.

(٣) ائتلفَ: من الأُلْفَةِ، وهي المحبَّةُ والمودَّةُ.

(٤) تناكَرَ: تنافرتْ في طَبائِعِهَا.

(٥) اختلفْ: تباعَدَ.

(٦) رواه البخاري (٣٣٣٦)، واللفظ له، ورواه مسلم (٢٦٣٨) من رواية أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٧) شرح السنة للبغوي (١٣/ ٥٧).

وقال ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ معلقًا على الحديثِ السابقِ: «قال الخَطَّابيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: يُحتَملُ أن يكونَ إشارةً إلى معنى التَّشَاكُلِ في الخيرِ والشَّرِّ والصَّلاحِ والفسادِ، وأنَّ الخيِّرَ مِنَ النَّاسِ يَحِنُّ[1] إلى شَكْلِهِ، والشِّريرَ نظيرُ ذلك يميلُ إلى نظيرِهِ؛ فتعارُفُ الأرواحِ يَقَعُ بحَسبِ الطَّبَاعِ التي جُبلتْ عليها من خَيْرٍ وشرٍّ، فإذا اتَّفَقَتْ تعارفَتْ، وإذا اخْتَلَفَتْ تَنَاكَرَتْ.

قلتُ - أي ابنُ حجرٍ -: ولا يُنكر عليه أنَّ بَعْضَ المتنافرين رُبَّما ائتلفا؛ لأنَّه محمولٌ على مبدأ التَّلاقي؛ فإنَّه يتعلَّقُ بأَصْلِ الْخَلْقِ بغَيْرِ سَببٍ، وأمَّا في ثنايا الحال فيكونُ مُكْتَسِبًا لتَجدُّدِ وصْفٍ يَقْتَضي الأُلْفة بَعْدَ النَّفْرَة: كإيمانِ الكافِرِ وإِحْسان المسيء.

قال ابن الجوزي رَحِمَهُ اللَّهُ: ويُسْتَفَادُ من هذا الحديث أَنَّ الإنسانَ إذا وَجَدَ مِنْ نَفْسِهِ نَفْرَةً مِمَّنْ له فضيلةٌ أو صلاحٌ؛ فينبغي أن يبحثَ عن المقتضي لذلك؛ ليسعى في إزالتِهِ، حتَّى يتخلصَ من الوصْفِ المذْمومِ، وكذلك القولُ في عكسِهِ»[2].

وقال الماورديُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «وإذا كان التجانُسُ والتَّشَاكُل من قواعِدِ الأُخوَّةِ، وأسبابِ المودَّةِ، كانَ موفورُ الْعَقْلِ وظهورُ الْفَضْلِ يَقْتَضِي مِنْ حَال صاحبة قِلَّةَ إخْوانِهِ؛ لأَنَّهُ يَرُومُ مِثْلَهُ، ويَطْلُبُ شَكْلَهُ، وأَمْثَالُهُ مِنْ ذوي الْعَقْلِ والْفَضْلِ أَقَلُّ مِنْ أضدادِهِ من ذوي الْحُمْقِ والنَّقْصِ؛ لأنَّ الخيارَ من كُلِّ شيءٍ هو الأقلُّ؛ فلذلك قلَّ وُفُورُ الْعَقْلِ والْفَضْلِ، وقد قال اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَآءِ ٱلْحُجُرَٰتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ۝٤﴾ [الحجراتُ: ٤]، فقلَّ بهذا التَّعْليلِ إخوانُ أهل الْفَضْلِ؛ لِقلَّتِهِم، وكَثُرَ إخوانُ ذوي النَّقْصِ والجَهْلِ لكَثْرَتِهِم، وقد قالَ الشاعر في ذلك:

---

(١) يحن: يشتاق ويتوقُ.

(٢) «فتح الباري» (١٠/ ٤٢٦) باختصار يسيرٍ.

لِكُـلِّ امـرئٍ شَـكْلٌ مِـنَ النَّـاسِ مِثْلُـهُ ... فـأَكْثَرُهُمْ شَـكْلًا أَقَلُّهُـمْ عَقْـلا
وكُـلُّ أُنَـاسٍ آلِفُـونَ لِشـكْلِهِمْ ... فـأَكثَرُهُمْ عَقْـلًا أَقَلُّهُـمْ شَـكْلا
لأنَّ كثيـرَ الْعَقْـلِ لَسْـتَ بِواجِـدٍ ... لَـهُ فِي طرِيـقٍ - حـينَ يَسْـلُكُهُ - مِـثْلا
وكُـلُّ سَـفيهٍ طـائشٍ إِنْ فَقَدْتَـهُ ... وَجَدْتَ له في كُلِّ ناحِيَةٍ عِـدْلا[1]»[2]

وقال ابنُ القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: «وأنْتَ إذا تأمَّلتَ الوجودَ، لا تكادُ تجدُ اثنين يتحابَّان إِلَّا وبَيْنَهُما مُشاكَلَةٌ أو اتِّفاقٌ في فعلٍ، أو حالٍ أو مقصدٍ، فإِنَّ تباينتِ المقاصِدُ، والأوصافُ، والأفعالُ، والطرائقُ لم يكنْ هناك إِلَّا النَّفْرَةِ، والبُعْدُ بَيْنَ القُلُوبِ، ويكفي في هذا الحديثُ الصحيحُ عن رسولِ اللهِ ﷺ: «**مَثَلُ المُؤمنين في توادِّهم، وتراحُمِهِم، وتعاطفِهِمْ كمثلِ الجَسَدِ الواحِدِ إذا اشْتكى مِنْهُ عُضُوٌ، تدَاعى لَهُ سائِرُ الْجَسَدِ بالسَّهَرِ والحُمَّى**[3]»[4].

وقال رَحِمَهُ اللَّهُ: «إِذا كانَتِ الْمَحبَّةُ بالمُشَاكَلَةِ والمناسبة ثَبتَتْ وتَمكَّنَتْ ولَمْ يُزلْها إِلَّا مانعٌ أقْوَى مِنَ السَّبَبِ، وإِذا لم تَكُنْ بالمُشاكلةِ، فإِنَّما هي مَحَبَّةٌ لِغَرَضٍ مِنَ الأَغراضِ تزولُ عِنْدَ انقضائِهِ وتَضْمَحِلُّ، فَمَنْ أَحَبَّكَ لأمْرٍ ولَّى عِنْدَ انقضائِهِ؛ فداعي المحبَّةِ وباعِثُها إِنْ كان غرضًا للمحبِّ لَمْ يَكُنْ لمحبَّتِهِ بَقاءٌ»[5].

وقال رَحِمَهُ اللَّهُ: «ولهذا شُرِعَ للخاطِبِ أن يَنْظُرَ إلى المَخْطُوبة؛ فإِنَّه إذا شاهدَ حُسْنَها

---

(١) العدل: المثل.

(٢) «أدب الدنيا والدين» (١٧١).

(٣) رواه البخاري (٦٠١١)، ومسلم (٦٦) عن النُّعْمانِ بن بَشِيرٍ.

(٤) «روضة المحبين» (٥٤).

(٥) «المرجع السابق» (٥١).

وجَمَالَها، كانَ ذلِكَ أَدْعى إلى حُصولِ المحبَّةِ والأُلْفَةِ بينَهُما، كما أشارَ إليه النَّبِيُّ ﷺ في قولِهِ: «**إذا أراد أَحَدُكُمْ خِطْبَةَ امرأةٍ فَلْيَنْظُرْ إلى ما يدعوهُ إلى نكاحِها؛ فإنَّهُ أَحْرَى أَنْ يُؤْدَمَ بينهما**»[١] أي يُلائمُ ويُوافِقُ ويُصْلِحُ، ومِنْهُ الإِدَامُ الذي يُصْلَحُ به الْخُبْز، ورُبَّما لَمْ تَقَعِ الْبَتَّةَ؛ فإنَّ التَّنَاسُبَ الذي بَيْنَ الأَرْواحِ مِنْ أَقوى أسباب المحبَّةِ، فكلُّ امرئٍ يصْبُوا إلى من يُنَاسِبُهُ»[٢].

إنْ كُنْتَ حُلْتَ[٣] وبي اسْتَبْدَلْتَ مُطَّرحًا ... وُدًّا فلمْ تأتِ مَكْروهًا ولا بِدَعَا[٤]

فَكُلُّ طَيْرٍ إلى الأشْكَالِ مَوْقِعُهَا ... والْفَرْعُ يَجْرِي إلى الأعْراقِ مُنْتَزِعَا[٥]

لطيفةٌ:

من لطيفِ ما يُذْكَرُ في هذا البابِ أنَّ عَزَّةَ دَخَلَتْ على الحَجَّاجِ - رحمهما اللهُ -[٦]، فقالَ لها: يا عَزَّةُ والله، ما أنتِ كما قال فيكِ كُثَيِّرٌ![٧]

---

(١) مأخوذ من حديثين، روى الأوَّلُ منهما أبو داود في النكاح باب (١٨) وروى الثاني النسائيُّ في «النكاح» باب (٩٠).

(٢) «روضة المحبين» (١٨٢).

(٣) حُلْتَ: حالَ عن العَهْدِ: الْقَلَبَ.

(٤) يقولُ: أيها المستبدلُ بي غيري، لا عَيْبَ عليكَ، إنَّما أنْتَ تَبيعُ مَنْ تُجالِسُهُ أو تجانسُهُ.

(٥) «روضةُ العقلاءِ» (١٨٢).

(٦) الحجاجُ رَحِمَهُ اللهُ كان كما قال الذهبيُّ صاحبَ توحيدٍ في الجملةِ أي من جملةِ العَصْرِ الأمويِّ وإنما حَصَلَ الابتلاءُ بالشهواتِ للبعضِ في هذا العصرِ والابتلاءُ بالشبهاتِ فيهم نادرٌ لهذا كان توحيدُهم أَحْسنَ ممَّنْ بعدَهم.

(٧) **يقصد بقولِ كثير:**

لو أَنَّ عزةَ خاصمتْ شمسَ الضُّحَى ... في الحسنِ عندَ مُوفَّقٍ لقَضَى لها

=

فقالتْ: أيُّها الأميرُ إِنَّهُ لَمْ يرني بالعينِ التي رَأَيتني بها»[١].

فَمَـا تُبْصِـرُ الْعَيْنَـانِ والقلـبُ آلِـفٌ ولا الْقَلْـبُ والْعَيْنَـانِ مُنْطَبِقَـانِ
ولَكِـنْ هُمَـا رَوْحَـانِ يَعْـرِضُ ذا لِـذا فَيَعْـرِفُ هـذا ذا، فَيَلْتَقِيَـانِ[٢]

- فراسةُ المَحَبَّةِ تفضَحُ أَهْلَ الأهواءِ والبِدَعِ

وفي السَّـماءِ طيـورٌ اسـمُها البُقُـعُ إِنَّ الطُّيـورَ عَلـى أشـكالِها تَقَـعُ

استخدمَ السلفُ الأبرارُ - رضوانُ اللهِ عليهم - فراسةَ الألفةِ في معرفةِ أهلِ الأهواءِ والبِدَعِ ومستندُهم في ذلك ما جاء في حديثِ عائشةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالتْ: قال رسولُ اللهِ ﷺ: «**الأرواحُ جنودٌ مجندةٌ ما تعارفَ منها ائتلفَ، وما تناكَرَ منها اختلفَ**»[٣].

قال ابنُ مسعودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «إنما يماشي الرجُلُ، ويصاحِبُ من يحبُّهُ ومن هو مثلُهُ»[٤].

وقال أبو الدرداءِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «من فِقْهِ الرجُلِ ممشاهُ ومدْخَلُهُ ومَجْلِسُهُ»[٥].

وعن معاذِ بنِ معاذٍ قال: «قلتُ ليحيى بنِ سعيدٍ: يا أبا سعيدٍ الرجُلُ وإنْ كَتَمَ رأيَهُ

= ويقصدُ عند مُحَكَّمٍ وليس كُلُّ محكَّمٍ موفقًا؛ فإنَّ الموفَّقَ من قضى بالحقِّ لأَهْلِهِ!

(١) روضة المحبين (٤٩).

(٢) روضة العقلاء (١٨٠).

(٣) تقدم تخريجه.

(٤) الإبانة لابن بطة (٢/ ٤٧٦).

(٥) المرجع السابق (٢/ ٤٤٦).

لم يَخْفَ ذاك في ابْنِهِ ولا صديقِهِ ولا جليسِهِ»[١].

وقال قتادَةُ: إنا واللهِ ما رأينا الرجلَ يصاحِبُ من الناسِ إلا مثلَهُ وشكْلَهُ فصاحبوا الصالحين من عبادِ اللهِ لعلَّكم أن تكونوا معهم أو مثلَهم»[٢].

وعن عقبةَ بنِ علقمةَ قال: «كنتُ عند أرطأةَ بنِ المنذرِ فقال بعضُ أهل المجلسِ: ما تقولون في الرجُلِ يجالِسُ أهلَ السُّنَّةِ ويخالِطُهم، فإذا ذُكِرَ أهلُ البِدَعِ قال: دعونا من ذكرِهم لا تذكروهم، قال: يقولُ أرطأةُ: هو منهم لا يلبسُ عليكم أمرُهُ، قال: فأنكرتُ ذلك من قولِ أَرطأةَ قال: فقدِمْتُ على الأوزاعيِّ، وكان كشافًا لهذه الأشياءِ إذا بَلَغَتْهُ فقال: صَدَقَ أرطأةُ والقولُ ما قال، هذا ينهى عن ذكرِهم، ومتى يحذروا إذا لم يُشْدَ بذكرِهم»[٣].

وقال الأوزاعيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «مَن سَتَر علينا بدعَتَهُ لم تَخْفَ علينا أُلْفَتُهُ»[٤].

وقال محمدُ بنُ عبيدٍ الغلابيُّ: «يتكاتَمُ أهْلُ الأهواءِ كُلَّ شيءٍ إلا التآلُفَ والصحبَةَ»[٥].

وقال الإمامُ أحمدُ رَحِمَهُ اللَّهُ: «إذا سَلَّمَ الرجُلُ على المبتدعِ فهو يُحِبُّهُ»[٦].

وقال أبو داودَ السجستانيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «قلتُ لأبي عبدِ اللهِ أحمدَ بنِ حنبلٍ: أرى من أهلِ البيتِ مع رجلٍ من أهلِ البِدَعِ، أَتْرُكُ كَلامَهُ؟

---

(١) المرجع السابق (٢/ ٤٧٩).

(٢) المرجع السابق (٢/ ٤٨٠).

(٣) تاريخ دمشق (١٥/ ٨).

(٤) الإبانة (٢/ ٤٧٩).

(٥) المرجع السابق (٢/ ٤٧٩).

(٦) طبقات الحنابلة (١/ ١٩٦).

قال: لا، أو تُعْلِمُه أنَّ الذي رأيتَه منه صاحبُ بدعةٍ، فإن تَرَكَ كلامَهُ وإلا فأَلْحِقْهُ به، قال ابنُ مسعودٍ: «المرءُ بخِدْنِهِ»(١).

وقال الفضيلُ بن عياضٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: «الأرواحُ جنودٌ مجندةٌ، فما تعارفَ منها ائتلفَ، وما تناكَرَ منها اختلفَ، ولا يمكنُ أن يكونَ صاحِبُ سنَّةٍ يمالئُ صاحِبَ بدعةٍ إلا من النِّفاقِ».

قال ابنُ بَطَّةَ رَحِمَهُ اللَّهُ معلِّقًا على قولِ الفضيلِ: «صَدَقَ الفُضَيْلُ رَحِمَهُ اللَّهُ فإنا نرى ذلك عيانًا»(٢).

ولما قَدِمَ سفيانُ الثوريُّ رَحِمَهُ اللَّهُ البَصْرَةَ، جَعَلَ ينظُرُ في أمْرِ الربيعِ - يعني ابنَ صبيحٍ - وقَدْرَهُ عند الناسِ، سأَلَ أيُّ شيءٍ مذهَبُهُ؟

قالوا: ما مذهَبُهُ إلا السُّنَّةُ.

قال: من بطانَتُهُ؟

قالوا: أهلُ القَدَرِ.

قال: هو قَدَرِيٌّ»(٣).

وقال البربهاريُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «وإذا رأيتَ الرجُلَ جالسًا مع رجلٍ من أهلِ الأهواءِ فَحَذِّرْهُ، فإنْ جَلَسَ مَعَهُ بعد ما علم فاتَّقِهِ فإنَّهُ صاحِبُ هوًى»(٤).

ويعجبني الذي يقولُ:

---

(١) المرجع السابق (١/ ١٦٠).

(٢)الإبانة لابن بطة (٢/ ٤٥٦).

(٣) الإبانة (٢/ ٤٥٣).

(٤) شرح السنة للبربهاري (١٢١).

تعـــارُفُ أَرواحِ الرِّجـــالِ إِذا الْتَقَـــوا فمـــنهم عـــدوٌّ يُتَّقَـــى وخليـــلُ
كـذاك أُمُـورُ النَّـاسِ، والنَّـاسُ مِـنْهُم خَفِيـفٌ - إذا صـاحَبْتَهُ - وثَقِيـلُ[١]

القلوبُ شواهدٌ

وعلـى القلـوبِ مـن القلـوبِ شـواهدٌ بـــالودِّ قَبْـــلَ تَشَـــاهُدِ الأرواحِ[٢]

مما دَرَجَ عليهِ العوامُّ قولُهم: «القلوبُ شواهِدُ» وهذا يَدُلُّ عليه حديثُ: «**الأرواحُ جنودٌ مجنَّدَةٌ...**».

وقد رأى ابنُ عباسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا رجلًا، فقال: «إنَّ هذا لَيُحِبُّني». قالوا: وما عِلْمُكَ؟!

قال: «إني لأحِبُّهُ، والأرواحُ جنودٌ مجنَّدَةٌ فما تعارفَ منها ائتلفَ وما تناكَرَ منها اختلفَ»[٣].

وقال رجلٌ لعبد اللهِ بن جعْفرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «إن فُلانًا يَقُولُ: إنَّهُ يُحبُّني فبماذا أعلمُ صِدْقَهُ».

قال: امتحنْ قلْبَهُ بِقَلْبِكَ، فإذا كُنْتَ تودُّهُ فإنَّه يودُّك»[٤].

وقال رجُلٌ لآخَرَ: إني أُحبُّكَ، فقال: رائد ذلك عندي»[٥].

أي إنَّ الذي عندك مثلُ الذي لك عندي كما قال الشاعِرُ:

---

(١) «ديوان طرفة» (١٢١).
(٢) محاضرة الأدباء (٣/ ٥٢).
(٣) «روضة العقلاء» (١٨٠).
(٤) محاضرة الأدباء (٣/ ٥٢).
(٥) المرجع السابق (٢/ ٣٢).

لا تســـألنَّ المـــرءَ عمـــا عِنْـــدَهُ ... واسْـــتلَّ مـــا في قلبِـــهِ مـــن قَلْبكـــا
إن كـــان بغضًـــا كـــان عنـــدك مِثْلُـــهُ ... أو كـــان حبًّـــا فـــاز منـــك بحُبِّكـــا[1]

٢- فراسةُ تحسين الألفاظِ:

صـــدقْتُ بتـــذكيري ولفظُـــكَ ســـائغٌ ... وغيرُكَ لم يكـذبْ، وفي نصـحِهِ مُرُّ[2]

تحسينُ الألفاظِ بابٌ من أبوابِ الفراسةِ وأصْلُ هذا البابِ قولُ اللهِ ﷻ: ﴿وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُوا۟ ٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ ۚ﴾ [الإسراءُ: ٥٣]. فالشيطانُ ينزِغُ بينهم إذا كلَّمَ بعضُهم بعضًا بغيرِ التي هي أحْسَنُ.

وفي «الصحيحين»[3] من حديثِ سهلِ بنِ حنيفٍ رضي الله عنه قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ: «**لا يقولَنَّ أحدُكم: خَبُثَتْ نفسي، ولكنْ ليَقُلْ: لَقَسَتْ نَفْسِي**».

قال ابنُ القيمِ رحمه الله: «(خَبُثَتْ) و(لَقَسَتْ) و(غَثَّتْ) متقاربَةُ المعنى؛ فكرِهَ رسولُ اللهِ ﷺ لفظَ (الخُبْثِ) لبشاعَتِهِ وأرشدَهُمْ إلى العدولِ إلى لفظٍ هو أحسَنُ منه، وإنْ كان بمعناهُ تعليمًا للأدبِ في المنطقِ، وإرشادًا إلى استعمالِ الحَسَنِ، وهَجْرِ القبيح من الأقوال، كما أرشَدَهُم إلى ذلك في الأخلاقِ والأفعَالِ»[4].

وقال رحمه الله بعد أنْ ذكرَ بعضَ الخلفاءِ وقد سألَ ولدَهُ - وفي يدِهِ مسواكٌ - ما جَمْعُ هذا؟ فقال: «محاسِنُكَ» يا أمير المؤمنين!

---

(١) العقْد الفريدُ (٢/ ٢٠٥).
(٢) قاله أُستاذُنا العمادُ - حفظه اللهُ -.
(٣) رواه البخاريُّ (٥٨٢٥)، ومسلمٌ (٢٢٥١).
(٤) «الطرقُ الحكميةُ» (٦٢).

قال: «وهذا من الفراسةِ في تحسينِ اللَّفْظِ، وهو بابٌ عظيمٌ اعتنى به الأكابرُ والعلماءُ وله شواهدُ كثيرةٌ في السُّنَّةِ وهو من خاصَّةِ العقلِ والفطنةِ فقد روينا عن عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنَّه خَرَجَ يعسُّ المدينةَ باللَّيلِ، فرأى نارًا موقدةً في خِباءٍ، فوقفَ وقال: «يا أهلَ الضَّوءِ». وكرِهَ أن يقولَ: يا أهلَ النَّارِ. وسألَ رجلًا عن شيءٍ: «هل كان»؟ قال: لا أطال اللهُ بقاءَك، فقال: «قد عُلِّمْتُم فلم تَتَعَلَّموا، هلا قُلْتَ: لا، وأطالَ اللهُ بقاءَك»؟

وسُئِلَ الْعَباسُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنت أكبرُ أم رسولُ اللهِ ﷺ ؟

فقال: هو أكبر مِنِّي وأنا وُلدتُ قَبْلَهُ[1].

قال أستاذُنا العمادُ – حفظهُ اللهُ –:

نمَّقْتَ ألفاظَ الحديثِ تأدُّبًا ... وإذا أردْتَ لقلتَهُنَّ غِلاظا

فأفَدْتَني عند التكلُّمِ حكمةً ... إنَّ الكريمَ يُهَذِّبُ الألفاظا

وقال – حفظهُ اللهُ –:

اخترْ من الألفاظِ أجملَها ... وانْسجْ من التعبير أرقاهُ

يعلو الفتى برفيعِ مَنطقِهِ ... ويَحُطُّهُ في النَّاسِ أَدناهُ

ويتأكَّدُ استعمالُ الألفاظِ الطيبةِ عند النصيحةِ وأصلُ هذا البابِ: ﴿فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴿٤٤﴾﴾ [طه: ٤٤].

والقولُ اللينُ يكونُ في الكلماتِ الطيبةِ من سُمُوِّ العبارةِ ودقيقِ الإشارةِ وحسنِ الدلالةِ.

قال ابنُ الأثير رَحِمَهُ اللَّهُ: «ومن له أدْنى تأمُّل يعلمُ أن للألفاظِ في الأُذنِ نغمةً لذيذةً كَنَغَمِ

(١) أخرجه أحمد في «فضائل الصحابة» (١٨٣١)، والحاكم في المستدرك (٥٣٩٨).

الأوتارِ وصوتًا منكرًا كصوتِ الحمارِ، وأنَّ لها في الفم - أيضًا - حلاوةً كحلاوةِ العسلِ ومرارةً كمرارةِ الحنظَلِ، وهي على ذلك تجري مجرى النغماتِ والطُّعومِ»[١].

قال أستاذنا عبدُ الكريمِ العمادُ - حفظهُ اللهُ -:

كلِّي عيوبٌ غيرَ أنَّكَ جئتني ... بجميعها ملفوفةً بحريرِ

وسواك عدَّدَها عليَّ صريحةً ... فطفِقْتُ ألقاهُ بلا توقيرِ

٣- فِراسةُ الْعُيُونِ:

الْعَيْنُ تَنْطِقُ والأفواهُ ساكِتةٌ ... حتى تَرَى من ضميرِ الْقَلْبِ تِبيانَا[٢]

للعينِ لغةٌ يفهمُها أهلُ الفِراسةِ ولا أدَلَّ على ذلكَ من أَنَّ العُشَّاقَ كانوا يكتشِفون ما وراءَ العينِ من التأمُّلِ فيهتدون إلى لُغَاتِها، والسببُ أنَّه لمَّا كان حبُّهم لاذعًا مؤلمًا عَلَتْ هِمَّتُهم إلى قراءةِ لغةِ عيونِ مَنْ يُحِبُّون[٣] ومن شواهِدِ ذلك قولُ عُمَرَ بن أبي رَبِيعَةَ:

أشارتْ بطرفِ العين خِيفةَ أهْلِهَا ... إشارة مَحْزُونٍ ولم تتكلَّمِ

فأيْقَنْتُ أنَّ الطْرفَ قد قال: مَرْحبًا ... وأهلًا وسَهْلًا بالحبيبِ المُتيَّمِ[٤]

---

(١) «المثلُ السائرُ» (١/ ١٥٦).

(٢) «روضةُ العقلاءِ» (١٠٤).

(٣) من طريفِ ما يُذكرُ ما جاءَ في كتاب: «العينِ في الشعرِ» للدكتور علي شلعة (١٠٥)؛ أنه اجتمعَ أربعةُ عُشَّاقٍ لقَينةٍ وكلُّهم يواري عن صاحبهِ بِسِرِّهِ، ويطوي دونَهُ خَبَرَهُ ويومئُ إليها بحاجبِهِ ويناجيها بلحظِهِ وكان أحدُهم غائبًا فَقَدَمَ، والآخرُ مقيمًا قد عَزَمَ على السَّفَرِ، والثالثُ قد سلفتْ أيَّامُهُ، والرابعُ مُسْتَأنَفَةٌ مودَّتُهُ.

فضحكَتْ بعينها إلى الأولِ، وبَكَتْ إلى الثاني، وآيسَتْ الثالثَ، وأطمعتِ الرابعَ».

(٤) ديوانُهُ (٢٠٤) شرحُ محمد محيي الدين عبد الحميد رَحِمَهُ اللَّهُ.

فقد نفى عمرُ في البيتين الكلامَ اللفظيَّ ولم ينفِ مُطْلَقَ الكلامِ، ولو أرادَ بقولِه: «ولم تتكَلَّمِ» نفي الكلام اللفظيِّ لانتقض بقولِهِ: فأيْقنتُ أنَّ الطرفَ قد قالَ مرحبًا؛ لأنه أثبتَ للطرفِ قولًا، والمرادُ نفيُ الكلامِ اللفظيِّ وإثباتُ كلامِ العينِ[١].

وقال المهديُّ بنُ المنصورِ رَحِمَهُ اللَّهُ:

ومُطَلِّعٌ من نَفْسِهِ ما يُسِرُّهُ ... عليه من اللحْظِ الخفيِّ دليلُ

إذا هو لم يُبْدِ الذي في ضميرِهِ ... ففي اللَّحْظِ والإيماءِ مِنْهُ رسولُ[٢]

واخْتزنَتْ أقوالُ الناسِ جُمَلًا منها:

١- «رُبَّ طرفٍ أفصحُ من لسانٍ»[٣].

٢- «أما يُبصرُ في عينيَّ عنوانَ الذي أُبدي»[٤].

ومن أمثالِهم:

١- «رُبَّ عينٍ أنمُّ من لسانٍ»[٥].

٢- «شاهد اللَّحظِ أصدَقُ»[٦].

٣- «لَحْظٌ أصدقُ من لَفْظٍ»[١].

---

(١) «لغةُ العيونِ» د. محمد كشاش (٢٨).

(٢) شرحُ مقاماتِ الحريريِّ (١/ ٢٩١).

(٣) «عيونُ الأخبارِ» (٢/ ١٨١).

(٤) «المرجعُ السابقُ» (٢/ ١٨١).

(٥) «مجمعُ الأمثالِ» (١/ ٣١٤).

(٦) «المرجعُ السابقُ» (١/ ٣١٤).

ويعجبني الذي يقولُ:

وإذا أَعْـــوزَ اللســـانَ بيـــانٌ ... فعلـى العـينِ بسْـطُ تلـكَ المعـاني

فتراهـــا تجـــولُ بـــين جُفـــونٍ ... تتمنَّـــى لـــو أنَّهـــا شـــفتانِ

العيونُ على القلوبِ شواهِدُ

ألا إنَّ عـــينَ المـــرءِ عنـــوانُ قلبِـــهِ ... تخبِّـــرُ عـــن أســـرارِه شـــاءَ أَمْ أبـــى

فراسةُ المحبةِ قد تُعْرَفُ من خلالِ العينِ؛ لأَنَّ العينَ بابُ القلبِ وأعظمُ طرقِ الحواسِّ إليه ومن كلامِ الحكماءِ: «فما كانَ في القلبِ ظَهَرَ في العَيْنِ»(٢).

قال محمود الورَّاقُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

إن العيـونَ علـى القلـوبِ شـواهِدٌ ... فبغيضُـــهَا لـــك بَـــيِّنٌ وحبيبُهـــا

وإذا تلاحَظَـــتِ العُيـــونُ تفاوضَـــتْ ... وتحـــدَّثتْ عمَّـــا تَجـــنُّ قُلوبُهـــا

يَـــنْطِقْن والأفـــواهُ صـــامِتةٌ فمـــا ... يَخْفَـــى عليـــكَ بريئُهـــا ومُريبُهـــا(٣)

وقال ابنُ أبي حازمٍ رَحِمَهُ اللَّهُ:

خُـــذْ مـــن العـــيشِ مـــا كَفَـــى ... ومـــن الـــدَّهر مـــا صـــفا

عَـــيْنُ مـــن لا يُحـــبُّ وصـــ ... ـــلَكَ تُبْـــدِي لَـــك الجفـــا(٤)

---

(٢) «المرجعُ السابقُ» (٢/ ٢٢٠).

(٢) «العقد الفريد» (٢/ ٣٥٤).

(٣) «المرجع السابق» (٢/ ٣٥٥).

(٤) «المرجع السابق» (٢/ ٣٥٥).

وقال ابنُ عبدِ ربِّهِ الأندلسيُّ رَحِمَهُ اللهُ:

صـــاحبٌ في الحـــبِّ مكـــذُوبُ دَمْعُـــهُ للشَّـــوْقِ مَسْـــكوبُ

كـــلُّ مـــا تطـــوي جوانِحُـــهُ فهـــو في العينـــين مكتـــوبُ[1]

وقال أستاذُنَا عبد الكريمِ العمادُ - حفظه اللهُ -:

أعاتِـبُ عينـي؛ كُلَّمـا أكـتمُ الجـوى عـن النـاسِ والعُـذَّالِ تفضـحني عينـي

فمن خلالِ ما تقدَّمَ تعرفُ أَنَّ فراسةَ العينِ تُعزِّزُ من فراسةِ القلْبِ بل العيونُ مرآةُ القلوبِ بها يَعْرِفُ المرءُ ما في قلبِ صاحِبِهِ وإن لم يتكلَّمْ صاحبُهُ وأحْسَنُ ما يُصَوِّرُ ذلك قولُ أحَدِ الشعراءِ وأحْسنَ:

خليلـــيَّ للبغضـــاءِ حـــال مُبِينَـــةٌ وللحـــبِّ آثـــار تُـــرى ومعـــارِفُ

فمـــا تُنْكـــرُ العينـــانِ فالقلـــبُ مُنْكـــرٌ وما تعرفُ العينانِ فالقلبُ عـارفُ[2]

وبالجملة فالقلبُ هو الأصلُ والعينُ تجلو ما فيه وتجعلُهُ واضحًا للعيانِ وإن كتَمَ المرءُ ما في قَلْبِهِ إِلَّا أنَّ العينَ فضاحَةٌ.

ومِنْ أمثالِ الْعَرَبِ قولهم: «**جَلَّى مُحِبٌّ نَظَرَهُ**»[3]

ومنه قولُ زهيرِ بنِ أبي سُلْمَى:

---

(١) «المرجع السابق» (٢/ ٣٥٥).

(٢) «فصلُ المقالِ» (٤٨٦)، قال أبو عبيد: يُضْرَبُ لمن يُحْسِنُ النظرَ إلى أحبابِهِ، من «جَلَوْتَ العروسَ إذا حسَّنتها» انظر: مجمع الأمثال (١/ ١٦٠).

(٣) «مجمع الأمثالِ» (١/ ١٨١).

فـــإن تَـــكُ في صـــدِيقٍ أو عـــدُوٍّ تُخْبِّـــركَ العيـــونُ عـــن القلـــوبِ[١]

وقال أستاذُنا عبد الكريمِ العمادُ - حفظهُ اللهُ -:

إذا لـــم تُصَـــدِّقْ مـــن لســـانِي حقيقـــةً فـــدونك عينـــي إنهـــا لـــيس تكـــذبُ

فـــإن عيـــونَ النـــاسِ أصـــدقُ مخبـــرٍ يُفَـــتِّش فيهـــا الحـــائرُ المتذبْـــذبُ

معظمُ الفِراسةِ تتعلَّقُ بالعيونِ.

يـــا صـــاحِ في قلبِـــهِ البغضـــاءُ راكـــدةً فـــالنَّفس تكتُمُهـــا والعـــينُ تُبـــديها[٢]

ما من شكٍّ أنَّ معظمَ الفراسةِ تتعلَّقُ بالعيونِ يلي ذلكَ اللسانُ.

قال ابنُ القيمِ رَحِمَهُ اللَّهُ: «ومعظمُ تعلّقِ الفِراسةِ بالعَينِ، فإنَّها مرآةُ القلبِ وعنوانُ ما فيهِ، ثم باللسانِ؛ فإنّهُ رسولُهُ وترجمانُهُ»[٣].

وجُلُّ النَّاسِ يعرفون حالاتِ بعضِهِم من عيونِهم وتأمَّلْ إلى قولِ اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَٱبۡيَضَّتۡ عَيۡنَاهُ مِنَ ٱلۡحُزۡنِ فَهُوَ كَظِيمٞ ٨٤﴾ [يوسُفُ: ٨٤]. أي ابْيَضَّتْ عيناه من الحزنِ الذي في قلبِهِ، والكَمَدِ الذي أوْجَبَ له كثرةَ البُكاءِ وقال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿فَلَمَّآ أَن جَآءَ ٱلۡبَشِيرُ أَلۡقَىٰهُ عَلَىٰ وَجۡهِهِۦ فَٱرۡتَدَّ بَصِيرٗاۖ﴾ [يوسُفُ: ٩٦].

أي رَجَعَ على حالِهِ بصيرًا بعد أن ابيضَّتْ عيناهُ من الْحُزْنِ.

وقال اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿فَرَجَعۡنَٰكَ إِلَىٰٓ أُمِّكَ كَيۡ تَقَرَّ عَيۡنُهَا وَلَا تَحۡزَنَۚ﴾ [طه: ٤٠].

---

(١) «مجمعُ الأمثالِ» (١/ ١٨١).

(٢) الزهرة (٢٢٠).

(٣) «مدارج السالكين» (٣/ ٣٦٥).

فقوله تعالى: ﴿نَقَرَّ عَيْنُهَا﴾ أصلُهُ من القرارِ؛ لأَنَّ ما يحبُّهُ الإنسانُ تسكُنُ عينُهُ عليهِ، ولا تنظرُ إلى غيرهِ كما قالَ أبو الطيبِ:

وخَصْـــرٌ تَثْبُـــتُ الأبصـــارُ فيـــه كـــأنَّ عليـــه مـــن صـــدقٍ نِطاقـــا[١]

وعن مصعبِ بن سعدٍ عن سعدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: لمَّا كان يومُ فتحِ مكةَ اختبأَ عبد الله بنُ سعدِ بن أَبي سَرْحَ عند عثمانَ بنِ عفَّانَ فجاءَ به حتَّى أوقَفَهُ على النبيِّ ﷺ فقال: يا رسولَ اللهِ، بايعْ عبدَ اللهِ فرفعَ رأسَهُ فنظرَ إليه ثلاثًا كلُّ ذلك يأبى فبايعَهُ بعدَ ثلاثٍ ثُم أقبلَ على أصحابِهِ فقال: «**أما كان فيكُم رجلٌ رشيدٌ يقومُ إلى هذا حيثُ رآني كفَفْتُ يدي عن بيعتِهِ فيقْتُلَهُ**».

فقالوا: ما ندري يا رسولَ اللهِ ما في نفسِكَ ألا أومأْتَ إلينا بعَيْنِكَ؟ فقال: «**إِنَّه لا ينبغي لنبيٍّ أنْ تكونَ له خائنةُ الأَعْيُنِ**»[٢].

قال الخطابيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: معنى «**خائِنةُ الأَعْيُنِ**» أنْ يُضْمِرَ في قلبِهِ غَيْرَ ما يظهرُهُ للناسِ فإذا كفَّ بلسانِهِ وأومَى بعينيْهِ إلى خلافِ ذلك وكان ظهورُ تلك الخيانةِ من قِبَلِ عينيْهِ فسمِّيَتْ خائنةَ الأعينِ»[٣].

وخائنةُ الأعينِ تُباحُ لغيرِ الأنبياءِ - صلواتُ اللهِ عليهم - عند الحاجةِ إليها قال الحافظُ ابنُ حَجَرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: «المنعُ مطلقًا من خصائِصِ النبيِّ ﷺ فلا يتعاطى شيئًا من

---

(١) «أضواء البيان» للشنقيطي (٢١/ ٢٠).

(٢) (صحيح) أخرجه أبو داود (٢٦٨٣)، والنسائي (٢/ ١٧٠)، والحاكم (٣/ ٤٥)، وصححه الألباني في «الصحيحة» (١٧٢٣).

(٣) «عون المعبود» (٧/ ٢٤٩).

ذلك وإنْ كان مباحًا لغيرِهِ»[١].

٢- أقسام فراسة العيون:

عَيْنَـاكَ قـد دَلَّتَـا عَيْنَـيَّ منـكَ علـى أَشْـيَاءَ لَوْلاهُمَـا مَـا كُنْـتَ تُبْـدِيها[٢]

قد قدَّمْنا قولَ ابنِ القيِّمِ رَحِمَهُ اللَّهُ إنَّ معظمَ الفراسةِ تتعلَّقُ بالعينِ[٣] وما مِنْ شَكٍّ أنَّ العينَ كتابُ الفراسةِ المفتوحُ وسِفْرُها المشروحُ فإلى ذلك الكتابِ نسْتَشِفُّ ما فيه من خلالِ مفرداتِ العينِ ومن تلك المُفْرداتِ ما يأتي:

١- أَزْلَقَ:

يقالُ: أَزلَقَهُ بِبَصَرِهِ إذا نَظَرَ إليه مُتسَخِّطٌ[٤] قال اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَإِن يَكَادُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَٰرِهِمْ لَمَّا سَمِعُواْ ٱلذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُۥ لَمَجْنُونٌ ۝٥١﴾ [القَلَمُ: ٥١].

وإشارةُ زَلَقَ تُرْسَمُ عن طريقِ النَّظرِ بحدَّةٍ إلى الشيءِ، وهي معنى السَّخَطِ[٥] والحَسَدِ.

قال ابنُ فارسٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: «فحقيقةُ معناهُ أَنَّهُ من حِدَّةِ نظرِهِمْ حَسَدًا يكادون يُنَحُّونَكَ عَنْ مكانِكَ»[٦].

---

(١) «الفتح» (٩/ ٢٥٠).

(٢) «أدب الدنيا والدين» (٢٦).

(٣) تقدم تخريجه.

(٤) «مفردات الراغب» (٣٥٥).

(٥) نظرة المتسخِّطِ تكونُ بشَدِّ الطرفِ وتكونُ للأعداءِ ويستعملُها المتسَخِّطُ على أخيه ويُحَذِّرُ العلماءُ من استعمالِها مع الوالِدَين قال معاويةُ بنُ إسحاقَ عن عروةَ بنِ الزبيرِ - رحمهم اللهُ ورضي عنهم -: «ما بَرَّ والدَه مَنْ شَدَّ الطرفَ إليه» «السِّيَرُ للذهبيِّ» (٤/ ٤٣٣).

(٦) «مقاييسُ اللغةِ» (٣/ ٢١).

وأكثرُ ما يَتداولُ معناهُ الأعداءُ فيلجأون إلى التعبيرِ بإشارةِ «زَلَقَ» حين ينظر أحدُهم إلى الآخرِ طالبًا زوالَ نِعْمَتِهِ[١].

قال أحدُهم يَصِفُ نظرَ الأعداءِ بعضِهم إلى بعضٍ:

يتقارضُـــونَ إذا التَقَـــوا في مَوْقِـــفٍ نظـــرًا يُزِيـــلُ مـــواطِئَ الأقـــدَامِ

٢- اسْتَشَفَّ:

تتمُّ إشارةُ «استشَفَّ» عندما يتحرَّكُ الطَّرْفُ عاليًا كأنَّهُ ينظرُ الشَّيءَ في الهواءِ ومعناها البحثُ عن عيبٍ في المنظورِ إليه.

قالوا: استشفَّ[٢] الثوبَ إذا نَشَرَهُ في الهواءِ ورفعَهُ لينظرَ إلى صفاقتِهِ أو سخافتِهِ يطلبُ عيبًا أو يرى عَوَرًا إنْ كان فيه.

٣- استكفَّ:

أي اسْتَشْرَفَ واستكفَّ واستوضَعَ إذا رفعَ بصرَهُ إلى الشيءِ وبسطَ كفَّهُ فوقَ حاجبِهِ كالمستظلِّ من الشمسِ ليستبينَ المنظورَ إليه، ومعناها الاطلاعُ على الشيءِ بدقَّتِهِ لمعرفةِ ما فيه.

٤- امتلاءُ العينِ:

هو معنًى معروفٌ قديمًا ولا يزالُ إلى اليومِ. جاء في أقوالِ العامَّةِ: «عبَّأَ عيني»، أي ملأها بحسنِهِ وتمامِهِ ورضا النفسِ عنهُ وتَظْهرُ لفظَةُ «الامتلاءِ» بشكلِ راحةِ العينِ وانبساطِها.

---

(١) انظر «لغة العيون» (٦٧) وما بعده بتصرُّفٍ واختصارٍ وجُلُّ هذا البابِ مستفادٌ من كتابِهِ جزاهُ اللهُ خيرًا.

(٢) استشف الشيء: أبصره من خلال غيره وفحصه.

قال الشاعر:

هـي الـدُّرُّ منثـورًا إذَا مـا تكلَّمَـتْ وكالـدُّرِّ مجموعًـا إذا لَـمْ تَكَلَّـمِ

تُعَبِّـدُ أرْبَـابَ القُلُـوبِ بـدَلِّها وتمـلأُ عـينَ النـاظِرِ المتوَسِّـمِ[1]

ومما يزيدُ المعنى وضوحًا «عينُ الرِّضا» و«عينُ السُّخْطِ» الأولى تنظرُ إلى الشيءِ فتراهُ جميلًا، تقبلُهُ النفسُ ويرتضيهِ الحسُّ، والثانيةُ ترى الشيءَ مقيتًا تعافُهُ النَّفْسُ وتعافُهُ الحواسُّ.

قال الشاعر:

فعـينُ الرِّضـا عـن كـلِّ عيـبٍ كليلـةٌ ولكن عَيْنَ السُّخْطِ تُبدِي المساويَا[2]

وعينُ الرِّضا بحكمِ طبيعتِها النفسيةِ ضعيفةٌ عن إدراكِ المعايبِ، وهي تعملُ على سَترِها أما عينُ السُّخْطِ فهي تجِدُّ في التماسِ العيوبِ واصطيادِ المثالبِ.

٥- بَرَّقَ عينيه:

يتراءى للناظرِ - أحيانًا - أن عينَ المنظورِ إليه تَبْرُقُ وتتلألأُ[3]، فيقولون فيه: «بَرَّقَ عينيه»، وقد لاحظَ العلماءُ حركةَ العينِ وبريقَها المطَّرِدَ مع المعاني؛ فباتت عندَهم علاماتٍ يستدلُّون بها على حقيقةِ الإنسانِ وعقلِهِ ومُرادِهِ...

---

(١) «المختار من شعر بشار» (٣٧).

(٢) «سرح العيون» (٢٠٦).

(٣) قد ينتجُ بريقُ العين من اجتماعِ البياضِ والسواد؛ لأن مادَّةَ (برق) تتضمَّن معنى الاجتماعِ، يعزِّزُ ما نقولُه أن الأبرقَ الجبلُ فيه سوادٌ وبياضٌ، سَمُّوا العينَ برقاءَ لذلك. وناقةٌ بَرُوقٌ تلمعُ بِذَنَبِها، (معجمُ مقاييسِ اللُّغَةِ) (١/ ٢٢٤).

قال ابنُ الجوزيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ موضِّحًا: «ومَنْ كانت عينهُ تتحرَّكُ بسرعةٍ وحِدَّةٍ فهو مكارٌ محتالٌ، وأحْمَدُ العيونِ الشُّهْلُ، وإذا لم تكن الشهلاءُ شديدةَ البريقِ وَلا يظهرُ عليها صُفْرةٌ ولا حُمْرةٌ دَلَّتْ على طبعٍ جَيِّدٍ...»(١).

وتتمُّ إشارةُ العينِ اللغويةُ حين تُخْرِجُ ما يشبهُ الشَّرَرَ، وهو مفردةٌ تحملُ معنى الخوفِ والفزَعِ الناتجَيْنِ عن الغَضَبِ وما يشبهُهُ من مُثيراتٍ، تبعثُ الإنسانَ على الغليانِ وتجعلُهُ في موقفِ الحيرانِ.

يُدَعِّمُ ذلك دلالةُ (بَرَقَ) قال ابنُ فارسٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: «والإنسانُ إذا بَقِيَ كالمتحيِّرِ قيلَ بَرقَ بصرُهُ فهو بَرِقٌ فَزِعٌ مبهوتٌ»(٢).

ويقالُ في كلِّ ما يلمعُ نحو سيفٍ: بارِقٌ وبَرَّقَ وَبَرَق كما يقال في العينِ إذا اضطربَتْ وجالَتْ من فَزَعٍ(٣).

واستنادًا إلى المعنى المذكورِ قالت العامَّةُ: «يتطايرُ الشَّرَرُ مِن عينيه» إذا كان غَضِبًا فَزِعًا.

وقارئُ لغةِ العينِ يفهمُ مقصودَها حين تبرقُ وتتلألأُ فيجبُ تجنُّبُها خَشْيةَ الوقوعِ في ويلاتِها(٤) قال الشاعِرُ: مُظهرًا دلالَةَ «برقِ العينِ» ناصحًا مفارقَتَها:

---

(١) «الأذكياءُ» (١٧).

(٢) «معجم مقاييس اللغة» (١/ ٢٢٤).

(٣) مفردات الراغب (٤٢).

(٤) يحسن بالزوجَة أَن تلمحَ بروقَ عين زوجها فتسكت لئلَّا يسقُطَ السقفُ. ومتى رأى الرجلُ ذلك من أهله أن يَخْرُجَ حتى تسكُنَ ثائرتُهَا وتهدأ نفسُها.

ولا تَلْمَـــم بِـــدَارِ بَنـــي كليـــبٍ ولا تَقْـــرَبْ لهـــا أَبَـــدًا رحَـــالا
تـــرى فيهـــا بَـــوارقَ مرهفـــاتٍ يَكـــدْنَ يُكِـــدْنَ بالحَـــدَقِ الرِّجـــالا[1]

٦- البكاءُ:

الدموعُ علاماتُ البكاءِ، وحركاتُ إعرابِ إشارةِ العين التي تَدُلُّ فيها على معنى الحُزْنِ، ومن دونِها تفقِدُ دلالَتَها على المعنى الموضوعِ لها.

وما أشدَّ المزاوجَةَ بين دمْعةِ العينِ ومعنى الحُزنِ الذي تبعثُهُ دوافِعُ كثيرةٌ، كالنَّوى وهجرِ الحبيبِ وفُقدانِ الأهلِ والأَلمِ... يُرَسِّخُ المزاوجةَ بأبهى حُلَّتِها قولُ الطائيِّ الذي تتحوَّلُ فيه الألفاظُ إلى دموعٍ، تحكي بلسانِ حالِها البَيْنَ والوجَعَ:

كـــادتْ لِعِرْفـــانِ النـــوى ألفاظُهَـــا مِـــنْ رقَّـــةِ الشَّـــكْوَى تُكَـــوِّنُ أدمعـــا[2]

وتحكي الدموعُ حرارةَ القلبِ وشدةَ الوَجْدِ والحُبِّ تظهرُ في العينِ، وتبقى بصماتُها قروحًا فيها وجروجًا. وهي بذلك تسطِّرُ معناها، وتتركُ للعينِ الناظرةِ إليها تحكي ما بها.

قال أَحَدُ الشعراءِ مصورًا حالَهُ بإشارةِ طَرْفِهِ:

يقولـــون لـــي والـــدَّمْعُ قَـــرَّحَ مُقْلتـــي بنـــارِ أَسًـــى مـــن حَبَّـــةِ القَلْـــبِ تَقْـــدَحُ
أَدْمُعُـــك جَمْـــرٌ قُلْـــتُ لا تتعجَّبـــوا فَكُـــلُّ وعـــاءٍ بالـــذي فيـــه يَنْضَـــحُ[3]

ودموعُ العينِ بالإجمالِ إشارةٌ تَنُمُّ عن الحُزْنِ وآيةُ الأسَى والهمِّ، تنطقها العين

(١) «ديوانُ الأخطل» (١٠٦).
(٢) «العين في الشعر» لعلي الشلق (١١٧).
(٣) «المستطرف» (٢/ ٦٦٤).

بلسانِ حالِها فتقومُ مقامَ مقالِها من أمثلتِها ما أنشَدَهُ صلاحُ الدين الصَّفْدِيُّ:

فـلا تَسَـلْني عـنْ وجْـدِي وعـن قَلَقِـي ... وسَـــائِلِ الـــدَّمْعَ في عينـــيَّ يُنْبِيكـــا

هَـذِي دُمُـوعيَ عـن حَـالِي مُتَرْجِمَـةً ... وهـذه ألسُـنُ الشَّـكْوَى تناجيكـا[1]

أشكالُ الدُّموعِ:

قد تدمَعُ الأحداقُ عَطْفًا وشفَقَةً عند سماعِ كلامٍ من قُطِعَتْ بهم سُبُلُ العيشِ فأصبحوا في وضع من الفاقةِ والحاجةِ ما لا يُحْسدون عليه جاءَ في المقامةِ الجرجانيةِ: «وقد هبَّت بي إليكم ريحُ الاحتياج، ونسيمُ الإلفاجِ[2] فانظروا رحمَكم اللهُ لنقْضٍ من الأنقاضِ مهزولٍ، هَدَّتْهُ الحاجةُ وكَدَّتْهُ الفاقَةُ... قال عيسى بنُ هشامٍ: فَرَقَّتْ واللهِ له القلوبُ، واغْرَوْرَقَتْ للُطْفِ كلامِهِ العيونُ، ونِلْناهُ ما تاحَ في ذلك الوقْتِ»[3].

قال أستاذُنا عبدُ الكريمِ العمادُ - حفظَهُ اللهُ -:

رقيـقٌ، قريـبُ الـدَّمْعِ تجـري دموعُـهُ ... لِصَدْحَةِ عصفورْ على الغُصْنِ شاديا

عفيفٌ غضيضُ الطَّرْفِ عَـذْبٌ حديثُهُ ... تقـيٌّ إلـى الخيـراتِ تلقـاهُ غاديـا

ومن جهةٍ أُخْرى تؤدِّي دمعةُ العينِ معنى الفَرَحِ وهذا يشاعُ عند العامَّةِ قولهم: «دموعُ الفَرَحِ».

وأكثرُ ما تكونُ عند النساءِ والأَطفالِ؛ لأَنَّ غرائِزَ الخَوْفِ ما تزال قويَّةً جدًّا واللهُ

---

(١) «لوعة الشاكي ودمعة الباكي» لصلاح الدين خليل بن أيبك الصَّفْديِّ (٦٦).

(٢) الإلفاجُ الإلجاءُ إلى غير أهله، وألْفَجَ أفْلَسَ «القاموس المحيط» (١/ ٢٠٦).

(٣) مقاماتُ الهمذاني (٥٠).

أعلمُ.

الدموعُ قد تَخْدَعُ:

لـــم تَـــزَلْ تَخْـــدَعُ العيـــونَ إلـــى أَنْ علَّقَـــتْ دمعـــةً علـــى كـــلِّ مـــاقِ[1]

ينبغي للمتفرِّسِ التنبُّهُ إلى دلالةِ لفظةِ «دموعِ العينِ»، وجَعْلُها على المعنى الحقيقيِّ المقصودِ، فكم من دمعةٍ تَذْرِفُ فيحسبُها العامَّةُ وطَيِّبوا القلوبِ حُزْنًا أو بسببِ ظلمٍ لَحِقَ بصاحبها فكم من دمعةٍ قد خدعَتْ أقوامًا كما تخدَعُهم الكلمةُ على اللسانِ أو الزِّرايَةُ في الملبَسِ.

قال أستاذُنا عبدُ الكريمِ العمادِ - حفظه اللهُ -:

لـــه دمعـــةٌ خرقـــاءُ تَفْضَـــحُ نَفْسَـــها إذا نزلَـــتْ مـــا صَـــدَّقَتْها الجـــوارحُ

ومن طريف ما يُذكَرُ عن الشعبيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ قال: شَهِدْتُ شريحًا وجاءتْهُ امرأةٌ تخاصمُ رجلًا فأرسَلَتْ عينيها فبكَتْ فقلتُ يا أبا أميَّةَ ما أظُنُّها إلا مظلومةً فقال: يا شعبيُّ إنَّ إخوةَ يوسفَ جاءوا أباهم عِشاءً يَبْكون»[2].

٧- التَّحديقُ:

لفظةُ التحديقِ تتمُّ مِنْ خلالِ فتحِ العينِ بشِدَّةٍ بُغْيَةَ النَّظَرِ والإحاطَةِ الجليَّةِ بالمَنْظَرِ جاءَ في استعمالِ العربِ: «وقد أَحْدقوا به إذ أَحاطوا»[3].

---

(١) «الفنُّ ومذاهبُهُ» (٣٦٦).

(٢) «تاريخُ دمَشْق» (٢٢/ ٤٦).

(٣) أساسُ البلاغةِ للزَّمخشريِّ (١٦٧).

ولعلَّ حركةَ العينِ بالتَّحديقِ نابعةٌ من الحَدقةِ، وهي السوادُ المستديرُ وسَطَ العينِ[١].

وفي حديثِ معاويةَ بنِ الحكَمِ: فحدَقني القومُ بأبصارِهم، أي رمَوْني بحَدَقِهِم[٢] وقد تدلُّ إشارةُ الحدقةِ، بالإضافَةِ إلى معنى الشمولِ والإحاطةِ على معنى الوداعِ، والنَّظرَةِ الأخيرَةِ.

قال ابنُ منظورٍ: «رأيتُ المَيْتَ يَحْدِقُ يَمْنةً ويَسْرةً، أي يفتحُ عينيه وينظُرُ»[٣].

٨- حركةُ الجُفونِ والحواجبِ:

تمثلُ الجفونُ والحواجبُ دورًا مهمًّا في مفرداتِ العينِ وألف بائِها. وهما تشاكلان إلى حَدٍّ بعيدٍ حركاتِ إعرابِ الكلامِ، من الرفعِ والنَّصبِ والجرِّ والجزمِ.

ونظرةٌ تأمليَّةٌ إلى الجفونِ والحواجبِ مع العينِ تساعدُ المتكلِّمَ بلغتِها على فَهْمِ مَراميها.

ولا أدلَّ على ذلك من قولِ أبي العباسِ الناشئِ:

ولَمَّا رَأينَ البينَ زُمَّتْ رِكَابُهُ ... وأَيقنَ منَّا بِانْقِطاعِ المَطَالبِ

طَلَبْنَ على الرَّكْبِ المجدِّينَ عِلَّةً ... فَعُجْنَ عَلَيْنَا مِنْ صُدُورِ الركائبِ

فَلمَّا تلاقَيْنَا كتَبْنَ بأعْيُنٍ ... لَنَا كُتُبًا أعْجَمْنَهَا بالحواجِبِ

فلمَّا قَرَأنَاهُنَّ سِرًّا طَوَيْنَهَا ... حِذَارَ الأعادي بازْوِرَارِ المنَاكِبِ[٤]

---

(١) «لسانُ العرب» (١٠/ ٣٩).

(٢) «النهايةُ في غريبِ الحديثِ» (١/ ٣٥٤)، والحديثُ رواهُ مسلمٌ (٥٣٧).

(٣) «لسانُ العربِ» (١٠/ ٣٨).

(٤) «زهرة الأدب» (٣/ ٦٤٩).

لغةُ الحواجبِ:

تعملُ الحواجبُ على تأديةِ إشارةِ العينِ، وهي تؤكِّدُ ما تنقلُهُ من معنى الرَّفضِ والصدِّ. كأَنَّ حركةَ الحاجبِ إلى أعلى لفظةُ (لا).

تؤازرُ العينَ، فيتعانقان سويًّا على تأكيدِ معنى النفيِ بلا كُرْهٍ ولا بُغْضٍ قال الشاعر:

وَلَمَّا رَأَيْتَ البَيْنَ قَدْ جدَّ جِدُّهُ ... وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا أَنْ تبينَ الركائِبُ

دَنَوْنَا فَسَلَّمْنا سَلَامًا مُخَالسًا ... فَرَدَّتْ عَلَيْنَا أَعْيُنٌ وحَوَاجِبُ

تصدُّ بلا بُغْضٍ ونخلسُ لَمْحَةً ... إذا غَفَلَتْ عَنَّا العيونُ الرواقِبُ[1]

وكسرُ الحاجبِ مع لمحةِ الطَّرْفِ يؤدِّيان رسالةَ الحبِّ بما فيها من لوعةٍ وفرحةٍ؛ لوعةً خشيةَ الفراقِ، وفرحةً بما يُنتظَرُ من لقاءٍ. ما أشدَّ مَنْ يُلقي بطرْفِهِ، فيخاطبُهُ طرفُ الحبيبِ مع كَسْرِ الحاجبِ كما قال أحدُهم:

ألا مَنْ لقلبٍ لا يزالُ رمِيَّةً ... لِلَمْحَةِ طَرْفٍ أو لِكَسْرَةِ حاجبِ[2]

خُلاصةُ القَولِ:

إنَّ الجفونَ سطورُ ألفاظِ العينِ وخطوطُ كتابتِها، يظهرُ عليها ما تُجِنُّ القلوبُ وتكتِمُ الصدورُ كما قال أحدُهم:

ومُراقَبَيْنِ تكَاتَمَا بهَواهُمَا ... جَعَلَا القُلُوبَ لما تُجنُّ قُبورَا

---

(١) المرجع السابق (٣/ ٦٤٩).

(٢) المرجع السابق (٣/ ٦٤٩).

يَتَلاحَظَانِ تَلَاحُظًا فكأَنَّما يَتَنَاسَخَانِ من الجفونِ سُطورَا[١]

وقال أستاذُنا عبدُ الكريم العمادُ - حفظهُ اللهُ -:

قَدْ أَغْلَقَتْ فَمَها وكفَّتْ كفَّها والحاجبانِ لها يَدٌ ولسانُ

٩- الحَدْجُ:

الحَدْجُ هو أنْ يرميَ المرءُ ببَصرِهِ غيرَهُ مع حدَّةِ نَظَرٍ[٢] قال أبو النَّجمِ العجليُّ:

تُقَتِّلُنَا مِنْهَا عُيُونٌ كأَنَّها عُيُونُ المَهَا ما طَرْفُهُنَّ بِحَادِجِ[٣]

والمعنى الذي يرسمُهُ اللفظُ من خلالِ وضعِ «الحَدْجِ» هو التَّثَبُّتُ والاهتمامُ بالمنظورِ إليه، أثناءَ رَمْيِهِ بحدَّةٍ ونظرٍ ثاقبٍ ويدلُّ ذلك على اهتمامِهِ بما يقولُ وأَن حديثَهُ تَطْرَبُ له القلوبُ وتَلَذُّ لهُ الأسماعُ.

ولهذا حَرَصَ السلفُ على الحديثِ حال وجودِ الحَدْجِ فإذا انصرفَ عنهم انصرفوا عن الحديثِ، ويُعِدُّون ذلك أمارةً على نشاطِ السامِعِ وحسنِ استماعِهِ وشهوتِهِ للحديثِ.

قال ابنُ مسعودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «حدِّثِ الناسَ ما حَدَّجوك[٤] بأبصارِهم، وأقبلَتْ عليك قلوبُهم؛ فإذا انصرفَتْ عنك قلوبُهم، فلا تُحدِّثْهم».

قِيلَ وما علامةُ ذلك؟

---

(١) «المختار من شعر بشار» (٦٣)، و«عيون الأخبار» (١/ ٣٩).

(٢) «فقه اللغة» للثعالبي (٦٨).

(٣) «ديوانه» (٧٨).

(٤) حدجوك: أي وجهوها نحوك.

قال: إذا التفتَ بعضُهم إلى بعضٍ، ورأيتَهم يتثاءبون فلا تحدِّثْهم»[١].

فالعينُ تطلبُ بإشارتِها الدَّرْسَ والتَّحْصيلَ فَطِنَ لذلك السلفُ الأبرارُ وغَفِلَ عنه كثيرٌ من الناسِ:

مضى السَّلفُ الأبرارُ يَعْبَقُ ذكرُهم فسِيروا كما ساروا على البِرِّ واصنعوا

ألا فَلْيُعْلَمْ أنَّ العينَ تحكي ما بها من خِلالِ وضعِها واللَّبيبُ اللَّبيبُ من يَفْهَمُ المعنى من النَّظَرِ إلى عيونِ الآخَرين. ففي حُجْرَةِ الدراسةِ مثلًا أو قاعَةِ المحاضراتِ يَعْرِفُ المدِّرسُ أو المحاضِرُ خفايا الحاضرين من النَّظَرِ إلَى عيونهم. وكذلك الوعَّاظُ في المساجِد والمجالسِ فإن كانوا يتلذَّذون ويطلبون المزيدَ فـ (الحَدْجُ) وإنْ أكثروا من غَضِّ الطَّرْفِ والالتفاتِ إلى غير جِهَةٍ أو إلقاءِ النَّظَرِ إلى السَّاعةِ أو ما شاكلَهَا، فإن العينَ تحكي الضَّجَرَ وتقولُ السآمةَ والملَلَ.

١٠- لونُ الحُمْرَةِ:

حُمْرَةُ العين إشارةٌ تلفِظُها مشيرةً إلى شكوى الوَجْدِ والفَقْدِ... وما يشبهُها من هَمٍّ وغمٍّ. وإذا علا العينَ لونُ الحمرةِ، فاهتْ بما فيها من الوَصَبِ[٢] قال الشاعر:

قالُوا اشتكت عَيْنُهُ فَقُلْتُ لهم من كثرة القَتْلِ مَسَّها الوَصَبُ

حُمْرَتُها من دِماءِ مَنْ قَتَلَتْ والدَّمُ في النَّصْلِ شاهِدٌ عجبُ[٣]

---

(١) «شرح السنة» للبغوي (١/ ٣١٤).

(٢) الوَصَبُ السُّقْم اللازمُ، وقد وَصِبَ فلانٌ فهو وَصِبٌ وأوْصَبَه كذا فهو يتوصَّبُ نحو يترجَّعُ «مفردات الراغب» (٥٢٤).

(٣) «الحيوان» للجاحظ (٥/ ٣٣٢).

وتحملُ حمرةُ العينِ دلالةً أخرى تتمثل في الخِداعِ والمَكْرِ؛ لهذا نَهَوا عن مناومةِ حمرِ العُيونِ، وأمْنِ جانِبِهم ومن أمثلتِهِ قول أبي قرودةَ:

إني نَهَيْتُ ابنَ عَمَّار وقُلْتُ لهُ ... لا تأمَنَنْ أحْمَرَ العَيْنَينِ والشَّعَرَهْ

إن المُلُوكَ متى تَنْزِل بِساحَتِهِمْ ... تطِر بِنَارِكَ من نيرانِهِمْ شَرَرَهْ[١]

وليس تفسيرُ إشارةِ اللونِ الأحمر في العينِ من باب القولِ بالبُهتانِ، أو الجري من غير برهانٍ، بل هو ظاهرٌ دلاليًّةٌ، خارجةٌ في أحايينَ كثيرةٍ عن أن تكونَ مَرَضًا عضويًّا[٢].

١١- حَمَّجَ:

«حَمَّجَ» وضعٌ تأخذُهُ العينُ فتفورُ، أو تَصْغَرُ بُغْيَةَ النَّظَرِ، قال الجوهريُّ: حَمَّجَ الرجلُ عينَهُ تحميجًا يستشفُّ النَّظَرَ إذا صَغَّرَها»[٣].

ودلالةُ «حَمَّجَ»: الفزعُ أو التَّهديدُ[٤] ومن أمثلتِهِ قول الهذلي:

وحمَّجَ لِلْجَبَانِ الموْ ... تُ حتَّى قَلْبُهُ يَجِبُ[٥]

وتُشَاطِرُ العينَ أعضاءُ الجسدِ الأخرى في التعبيرِ عن الغَضَبِ، قالوا: التجميع:

---

(١) «ديوان المعاني» (٢/ ١٦٥).

(٢) قد يَنْتُجُ الاحمرارُ في عين واحدة أو في الاثنتين عن الزُّكامِ أو البُكاءِ كما في كتابِ «العين» لسمير الصليبي (٦٥) ومقصدُنا ما تَجَوَّزَ ذلك انظر حاشية «لغة العيون» (٧٦).

(٣) «الصحاح» للجوهريِّ (١/ ٣٠٧).

(٤) «فقه اللغة» للثعالبي (٦٨).

(٥) «الفائق» الزمخشري (١/ ٢٧٧).

التَّغَيُّرُ في الوجهِ في الغَضَبِ وغيرِهِ[١].

وفي حديثِ عُمر قال لرجلٍ: «ما لي أراك مُحمَّجًا»[٢] وهو فتح العين فزعًا.

١٤- حَمْلَقَ:

الحملاقُ باطِنُ الجَفْنِ الأحمرِ، فإن انقلبَ قيل: حَمْلَقَ[٣] وتعني إشارةُ حَمْلَقَ: الفَزَعَ يُصَوِّرُ ذلك قولُ أحدِ الشعراءِ:

رَأتْ رجلًا أهْوى إليها فَحَمْلَقَتْ ... إليه بما في عَيْنِها المُتَقَلِّبِ[٤]

أي أجابَتْ عينُها عما بها. وتدلُّ - أيضًا - على الشَّراسَةِ، لما فيها من الحُمْرةِ الَّتي تقدَحُ شررًا أزْرَق مَثَلُها كَمَثَلِ الحجارةِ التي يُستضاءُ بشَرَرِها بعد قَدْحِها.

ومعلومٌ معنى حمرةِ النَّارِ ثُمَّ تَحَوُّلِها إلى زُرْقَةٍ يعزِّزُ ذلك قولُ الراجزِ:

واللَّيْثُ إنْ أوعَدَ يَوْمًا حَمْلَقَا ... بِمُقْلَةٍ تُوجِدُ فَصًّا أزْرَقا[٥]

١٣- خَزَرَ:

الخَزَرُ أن يَنْظُرَ بمؤخَّرِ عينِهِ[٦] كأنه ينظرُ في أَحَدِ الشِّقيْنِ. ومفردةُ (الخَرزِ) الإشاريةُ تحملُ معنى الغضبِ. حكى ابن حمدونَ في «تَذْكِرَتِهِ» أنَّ حَسَنَ بنَ النعمانِ قال: كنتُ

(١) «لسان العرب» (٢/ ٢٤٠).

(٢) النهايةُ في غريب الحديثِ (١/ ٤٣٦). و«غريبُ الحديثِ» لابنِ الجذريِّ (١/ ٢٤٠).

(٣) «خلقُ الإنسانِ» للزَّجَّاجِ (٢٠)، و«فقهُ اللُّغَةِ» للثَّعالبيِّ (٦٨).

(٤) «لسان العربِ» (١٠/ ٦٩).

(٥) «المرجعُ السابقُ» (١٠/ ٦٩).

(٦) «فقه اللُّغَةِ» للثعالبيِّ (٦٦).

بالمدينةِ فخلا لي الطريقُ نَصْفَ النهارِ فجعلتُ أتغنَّى في شعرِ ذي يَزَنٍ وأقولُ:

مـــا بَـــالُ قَوْمِـــكِ يـــا رَبَـــابُ خُـــــرْزًا كـــــأَنَّهم غِضَـــــابُ[١]

وتَخَازَرَ[٢] الرَّجُلُ إذا ضَيَّقَ جفْنَهُ لِيُحِدَّ النَّظَرَ. وهو ليس بمرضٍ في العينِ، بلْ إشارةٌ تَخُطُّها لتحدِّدَ لَفْظَةً في لُغَتِها تريدُ قولَها. وأنشدَ أحدُ الشعراءِ:

إذا تَخَـــازَرْتُ ومـــا بـــي مـــن خَـــزَرْ[٣]

ويُفْهَمُ معنى لغةِ العينِ عند ما يلقي المرءُ نَظَرَهُ إلى عينِ الآخَرِ فَتُنَبِّئُ عما فيها عن طريقِ إشارتِها. جاء في المقامَةِ البَصْريَّةِ: «ولَقَيَنا» بتَحِيَّةِ الإسلامِ، ورَدَدْنا عليهِ مُقتضى السَّلامِ، ثُمَّ أجالَ فينا طَرْفهُ، وقال: يا قومُ ما منكم إلا مَنْ يَلْحَظُنِي شَزْرًا، ويوسِعُني خَزَرًا، وما يُنَبِّئكم عنِّي أصدقُ مِنِّي..)[٤].

تنبيهٌ مهمٌّ:

ينبغي أن تُضْبَطَ إشارةُ العينِ بدقَّةٍ، حتَّى تُفَسِّرَ معانيها أصدقَ تفسيرٍ، وذلك بتحديدِ حالِ الناظرِ والمقامِ المُحيطِ به.

قال ابنُ الأعرابيِّ موضِّحًا: «الشيخُ يُخَزِّرُ عينيه ليجْمَعَ الضَّوءَ حتى كأنَّهما خيْطَتَا، والشابُّ إذا خَرَّزَ عينيه؛ فإنه يتداهى»[٥].

١٤- خَوَصَ:

(١) «سرح العيون» لابن نباتة (١٤٩).
(٢) «نجعة الرائد» للبازجي (١/ ٢٨).
(٣) «لسان العرب» (٤/ ٢٣٦).
(٤) «مقامات الهمداني» (٦٤).
(٥) «لسان العرب» (٤/ ٢٣٦).

خَاوصَ وتَخَاوصَ إذا غَضَّ من بَصَرِهِ شيئًا، يكونُ في أنْ يُحْدِقَ النظرَ، كأنَّهُ يقوِّمُ سهمًا، وله وضعٌ آخَرُ، وهو إذا غَمَّضَ بصَرهُ عند النَّظَرِ إلى عينِ الشَّمسِ ويصبحُ وضعُ العينِ عند (الخَوَصِ) ضيِّقًا غائرًا؛ لأنَّ الخَوَصَ في العينِ «ضِيقها وغؤورُها»[١].

تدلُّ الخَوَصُ على معنى غَضِّ البَصَرِ شيئًا عِند النَّظَرِ، إما خَجَلًا أو فَزَعًا ويتعامَدُ التعبيرُ بالعينِ مع الكلامِ، فتتساوى العينُ مع اللِّسانِ، يُدَعِّمُ القضيَّةُ قولُ العَرَبِ: «خَوَّصَ اليومَ بكلامٍ إذا جاء بذكرٍ منهُ»[٢].

١٥- الرَّمْقُ:

الرَّمْق إشارةٌ من إشاراتِ العينِ تكونُ بواسطةِ النَّظَر إلى الشَّيءِ بمجامعِ العَينِ[٣] وهي تَحْمِلُ معنى العداوةِ. قالوا: «رامقَهُ إذا نَظَرَ إليه شَزْرًا نَظَرَ العَداوةِ»[٤].

وفي تضاعيفِ العداوةِ تدلُّ إشارةُ «رَمَقَ» على معنى «النِّفاقِ» وَرَدَ في الحديثِ «ما لم تُغْمِرُوا الرِّماقَ» أي النفاق، يقال: رامق رماقًا ومن حديقة العداوة يُجْتنى معنى الحَسدِ وبخاصَّةٍ أنَّ العينَ أداتُهُ والبابُ إليهِ. وقد اشتقُّوا من «رَمَقَ» اسمًا للفاعِلِ، قالوا: والرُّمُقُ الحَسَدةُ، وأحدُهم رامَقٌ ورَموق[٥].

١٦- رنا:

مَوقِعٌ تتَّخِذُهُ العَينُ حينَ تتحرَّكُ في مَحْجَرِها، كأنها تَخُطُّ أحْرُفَ لَفْظَةٍ إشاريَّةٍ.

---

(١) «أساس البلاغة» للزمخشري (١٧٧).

(٢) «المرجع السابق» (١٧٧).

(٣) «فقه اللغة» (٦٨).

(٤) «نجعة الرائد» (١/ ٢٧).

(٥) «النهاية في غريب الحديث» (٢/ ٢٦٤).

ويكونُ بإدامةِ النَّظرِ مع سكونِ طَرْفٍ[١].

ومتى تُديمُ العينُ نظرها وهي ساكنةٌ فإنها ترنو. وبلفظِها تُؤَدِّي معنى المراقبةِ لاقتناصِ خَبَرٍ، أو للحصولِ على مأربٍ. قال عُمَرُ بنُ أبي ربيعةَ:

وَتَرْنُــو بِعَيْنَيْهــا إلــيَّ كَمَــا رَنَــا إلـى ظَبْيَـةٍ وَسْـطَ الخَمِيلـةِ جُـؤْذُرُ[٢]

والتَّرقُّبُ مع سكونٍ تَغْرِضهُ إشارةُ «رنا» خَشْيَةَ الافتضاحِ، يساعدُها على التَّعبيرِ عن السِّرِّ ضوابطُ أخرى، كالدموعِ وغيرِها ومن دلالتِهِ ما جاء في قولِ المتنبي:

تَرْنُــو إلــيَّ بِعَــيْنِ الظَّبْــيِ مُجْهِشــةً وتَمْسَـحُ الطَّـلَّ فـوق الـوَرْدِ بـالْعَنَمِ[٣]

وأكثرُ ما تكونُ إشارةُ «رنا» في مواطنِ السِّرِّ؛ لما فيها من إدامةِ النَّظَرِ مع سُكونٍ؛ ممَّا يُساعدُ على عدمِ الإفشاءِ. قالوا: «فلانٌ رَنُوَّ فُلانَةَ إذا كان يُديمُ النَّظَرَ إليها»[٤].

وتَسْرِقُ الحبيبة النَّظَرَ إلى حبيبِها بنقلِ «رنا» فتسْرِقُ بِسِرِّ نظرتِها سِرَّ قلبِهِ، وتدمي فؤاده من غير أن تسيل دمه.

وقد عانى الناسُ من كَلْم «رنا»، على شَاكِلتِهِ ما أصابَ كُشاجِمَ:

رَنَــتْ فأصَــابَتْ سِــرَّ قَلْبِــي بِلحْظَــةٍ لَهَا في الحَشَا لَذْعٌ وليس لهَـا جُـرْحُ[٥]

١٧- لَوْنُ الزُّرْقَةِ:

---

(١) «لسان العرب» (١٠/ ١٤٦).

(٢) «خلق الإنسان» للزجَّاج (٢٢)، و«نجعَةُ الرائد» (١/ ٢٧).

(٣) «ديوان عمر بن أبي ربيعة» (٦٨)/ بشرح محمد محيي الدين عبد الحميد.

(٤) «ديوان المتنبي» بشرح العكبري (٣٧٤).

(٥) «ديوان كشاجم» (٥١).

لِلَّونِ الأزرقِ في المجتمعِ العربيِّ دلالةٌ خاصَّةٌ، إذ يحملُ معنى العداوةِ. وهي حقيقةٌ ترتبطُ بالواقعِ الاجتماعيِّ. كأنهم نظروا إلى أزرقِ العَينينِ نظرةَ غريبٍ عن موطِنِهم، ليس من أبناء بجدتِهم؛ لأنَّه اللونُ غيرُ الشائعِ في البيئةِ العربيةِ[1] فالعداوةُ فيه عداوةُ غُربة وعدمُ أُنْسٍ؛ نظرًا لعدمِ استئناسِهم برؤيتِهِ. جاءَ في المَثَلِ السائِرِ: «هو أزرقُ العينِ»[2]، وهو مَثَلٌ يُضْرَبُ في الاستشهادِ على البُغْضِ، ولونُ الأزرقُ من صفاتِ الأعداءِ قال الأصمعيُّ: «هو من صفات الأعداء»[3] والله ﷻ يقول: ﴿يَوْمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ ۚ وَنَحْشُرُ ٱلْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا ﴿١٠٢﴾﴾ [طه: ١٠٢].

قال القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ: «زُرْقًا» حالٌ من المُجرمين والزَّرَقُ خِلافُ الكَحَلِ والعربُ تتشاءم بزَرق العيونِ وتذمُّهُ» وعلماءُ النفسِ يقولون: العيونُ الزرقاءُ من صفاتهنَّ الجُرأةُ، حبُّ الذَّات، الغوصُ، عُمْقُ التفكيرِ، شدةُ الحساسيةِ، قوةُ التأثيرِ، المزاجُ الفنيُّ، البرودُ!

---

(١) المعروفُ أن زُرْقَةَ العيون لم تَكُنْ منتشرةً بين العربِ؛ كأنها بذلك خَصَّتِ الأعداءَ.
أما اللونُ المفضَّلُ فهو الأَسودُ، يدعِّمُ ما نذكرُهُ المعَاييرُ التي وضعوها للجَمَالِ، وما استلطفوا فيه من أقوالٍ. ونلخِّصُ آراءَهم: هذا هو الحُسْنُ العامُّ وقد خَصُّوا كُلَّ عُضْوٍ بصفَة، فقالوا: الحلاوةُ في العينِ، والملاحَة في الفمِ، والجمالُ في الأنف، والظُّرْفُ في اللِّسان. وقالوا: إذا حَسُنَت العينُ فَتَمامُهَا الدَّمَجُ - سوادُها مع سَعَتِها - والفَمُ وتمامُهُ الفَلَجُ يعني في الثَّغْرِ وطلاوةُ الجبينِ البَلَجُ... يُنْظَرُ «تزيينُ الأسواقِ» (٢/ ٣٩٨) ولا أدلَّ على قلَّةِ انتشارِ العيون الزُّرْقِ في العَرَبِ من القُدْرَةِ على إحصاءِ وعدِّ «الزرقِ العيونِ من العربِ» قال الجَاحظ: «فَمن الزُّرقِ صُحارُ المبديُّ وعبد الرحمنِ ابنُهُ، ودَاودُ بن متممِ بنِ نويرَةَ، والعباسُ بنُ الوليد، ومروانُ بن محمدٍ، وسعيدُ بن قيسٍ الهمذاني، وزرقاءُ اليمامةَ، ويه عَنَزٌ، من بنات لقمانَ بن عاديا...» يُنظَرُ «الحيوانُ» (٥/ ٣٣١).

(٢) «مَجَمَعُ الأمثالِ» (٢/ ٣٨٥).

(٣) تفسير القرطبيِّ (١١/ ٢٤٤).

وقد تهاجى أناسٌ بزُرْقَةِ العينين التي كانت قرينَةً لِلُّؤْمِ على شاكلةِ ما قاله أَحَدُ الشُّعراءِ:

لَقَـدْ زَرِقَـتْ عَيْنَـاكَ يـا ابـنَ مَكَعْبَـرٍ كمـا كُـلُّ خَبِّـيٍّ مـن اللُّـؤم أَزْرَقُ[١]

ولما خُصَّتِ الزُّرْقَةُ بالعَجَمِ على الأرجحِ - وقد هُجُوا بها - باتتْ معلمًا معروفًا منذ عُصورِ العَرَبِ الأوائِلِ يشهدُ له قولُ ذي الرُّمَّة:

زُرقُ العُيُـونِ إذا جـاوَرْتُهُمْ سَـرقُوا مـا يَسْـرقُ العَبْـدُ أو نَابـأتَهُمْ كَـذَبُوا

تلـكَ امْـرُؤُ القـيسِ مُحْمَـرٌّ عَنَافِقُهَـا كأنَّ أعْنَاقَهَا فَـوْقَ اللِّحى الصَّرَبُ[٢]

وقد تتأتَّى رؤيةُ اللونِ الأزرقَ في العينِ من خيالاتٍ[٣] يَبْعَثُها الناظرُ، نتيجةَ ما يَعْتَمِرُ في قلبِهِ من عداوةٍ ومكرٍ...، فيأتي اللونُ خياليًّا تعكسُهُ رؤى في عينِ الرَّائي. وتَغَيُّرُ لونِ العينِ في مواقفَ نفسيَّةٍ[٤] معروفٌ ومتداولٌ في مقاماتِ البُغْضِ والحبِّ وغيرِهما، وهي «أحوالٌ

---

(١) «الحيوان» (٥/ ٣٣٢).

(٢) «ديوانُ ذي الرُّمَّةِ» (٣٦).

(٣) أدركَ العربُ الخَيالاتِ التي تبعثُها العيونُ، ولم نكنْ لنتخبط فيما نقولُهُ خَبْطَ عشواءَ، يظهر ذلك في تنبيههِم إلى العيون التي تُسْرَجُ باللَّيل، قالوا: «والعيون التي تُسرِجُ باللَّيلِ: عيونُ الأسدِ والأفاعي والسنانير والنُّمورِ...» يُنظرُ «الحيوان» (٥/ ٣٢٩).

(٤) من أمثلة ما يَحْصُلُ في ساعَةِ الغَضَبِ والتعجُّبِ رُوي أنَّ المُبَرِّدَ دخل مَحبسًا (سجنًا)، فحَصَلَتْ بينَهُ وبين أَحَدِ السُّجناءِ محاورَةٌ، فأوصَاهُ السجينُ بعَدِمِ دخول السجنِ، قال: يا أبا العباسِ، صُنْ نَفْسَكَ عن الدُّخولِ إلَى هذه المواضعِ فليس يتهيَّأُ لكَ في كُلِّ وَقت أن تصادفَ مثلي على مثلِ هذه الحالةِ الجميلةِ. أنتَ المبَرِّدُ، وجعلَ يُصَفِّقُ وقد انقلبتْ عينُهُ وتغيَّرَتْ خِلْقَتُهُ، فبادرتُ مسرعًا خوفًا من أن تبدوَ منه بادرةٌ وقبلتُ قولَهُ...» ينظر: «أخبار النَّحويين» للسيرافي (١٠٨).

يتصفُ بها البدنُ كتَغَيُّرِ الألوانِ والعينين»[١].

ومن طريفِ ما يُذكَرُ في زُرْقِ العيونِ ما ذكرهُ الإمامُ الشافعيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ قال: خرجتُ إلى اليمنِ في طَلَبِ كُتُبِ الفِراسةِ، حتى كتبْتُها، وجمعتُها، ثُمَّ لما حان انصرافي مررتُ على رجلٍ في الطريقِ، وهو محتبٍ بفِناءِ دارِهِ أزرقَ العينِ ناتئَ الجبهةِ[٢] سناط[٣]، فقلتُ: هل من مَنزلٍ؟ فقال: نعمْ.

قال الشافعيُّ: وهذا النَّعتُ أخْبَثُ ما يكونُ في الفِراسةِ، فأنزلني، فرأيتُهُ أكرمَ ما يكونُ من رَجُلٍ، بَعَثَ إليَّ بعَشاءٍ، وطِيبٍ، وعَلَفٍ لدابَّتي، وفراشٍ، ولحَافٍ، فجعلتُ أتقلَّبُ اللَّيلَ أجمعُ ما أصنعُ بهذه الكُتُبِ إِذْ رأيتُ النَّعتَ في هذا الرَّجُلِ، فرأيتُ أكرمَ رَجُلٍ، فقلتُ أرمي بهذه الكتبِ، فلمَّا أصبَحتُ، قلتُ للغُلامِ: اسْرِجْ، فركبْت، ومرَرْتُ عليه، وقلتُ له: إذا قَدِمْتَ مكَّةَ، ومرَرْتَ بذي طَوَى، فاسْأَلْ عن محمدِ بنِ إدريسٍ الشَّافعيِّ، فقال ليَ الرَّجُلُ: أمولًى لأبيكَ أنا؟ قال: قلتُ: لا.

قال: فهلْ كانتْ لك عندي نعمةٌ؟ فقلتُ: لا.

قال: أينَ ما تَكَلَّفْتُهُ لك البارِحةَ؟ قلتُ: ما هو؟

قال: اشتريتُ لك طعامًا بدِرْهَمَيْنِ، وإدامًا بكذا، وعِطْرًا بثلاثَةِ دراهمَ، وعَلَفًا لدابَّتِكَ بدِرْهَمَيْنِ، وكِرَاءُ الفِراشِ واللِّحافِ درهمَان!

---

(١) «تزيينُ الأسواق» لداودَ الأنطاكي (١/ ٣٤).

(٢) ناتئ الجبهة رفيعُها.

(٣) سناط: هو الذي لا شعرَ في وجهِهِ.

قال: قلتُ: يا غلامُ أَعْطِهِ، فهلْ بَقِيَ مِن شيءٍ؟

قال: كراءُ البَيتِ فإنِّي قد وسَّعْتُ عليك، وضيَّقْتُ على نفسي.

قال الشافعيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: فَغَبِطْتُ تِلك الكتبَ، فقلتُ بعدَ ذلك: هلْ بَقِيَ لك مِن شيءٍ؟

قال: امضِ أخزاك اللهُ، فما رأيتُ شرًّا مِنْكَ![1].

١٨- شخَصَ:

حِينَ يفتَحُ الإنسانُ عينَيْه وأجْفانَهُ ولا تَطْرَفُ يُقالُ: شَخَصَ[2] قال اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿شَٰخِصَةٌ أَبْصَٰرُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ [الأنبياء: ٩٧].

وهو وَضْعٌ لُغَوِيٌّ تحتذي العينُ لتعبِّرَ عن الفَزَعِ والخَوْفِ قال الشنقيطي رَحِمَهُ اللَّهُ: «ومعنى شخوصِ الأبصارِ أنها تبقى منفتحةً لا تغمِضُ من الهَوْلِ وشِدَّةِ الخَوْفِ»[3].

وما أشبَهَ نُطْق العينِ بنُطقَ اللِّسانِ! وذلكَ حينَ يتساوى اللسانُ مع العَينِ.

قالوا: «شَخَصَتِ الكلِمةُ في الفَمِ إذا لم يَقْدِرْ على خَفْضِ صوتِهِ بها. وشَخَصَتْ الكلمةُ في الفَمِ نحوَ الحَنَكِ الأعلى...»[4].

١٩- شَزَرَ:

---

(١) «حلية الأولياء» (٩/ ١٤٣).

(٢) «فقه اللغة» للثعالبي (٦٨).

(٣) «أضواء البيان» (١٥/ ٢٠).

(٤) «لسان العرب» (٧/ ٤٦).

يُشبِهُ إلى حدٍّ ما اللَّحْظَ، وهو النظرُ بمؤخِّرةِ العينِ[١] ومنها يُعيرُ الناظرُ الآخرين لحْظَ العداوةِ والكيْدِ. وأكثرُ ما يكونُ «الشَّزَرُ» في حال الغَضَبِ والنَّظَرِ إلى الأعداءِ.

قال الزمخشريُّ: «ونظر إليه شَزْرًا، وهو نظرٌ في إعراضٍ كنَظَرِ المُبَاغِضِ»[٢].

ومن شواهِدِ الأعشى:

وتــرى الأعــداءَ حَــوْلي شــزَّرًا ... خاضـعي الأعْنَـاقِ أمثـالَ الـوَذَحْ[٣]

وقال أبو جَنْذَل الهُذَليُّ:

تُحــدِّثني عَيْنَــاكَ مــا الْقَلْــبُ كَــاتِمٌ ... ولا جِـنَّ بِالْبَغْضَـاءِ والنَّظَـرِ الشَّـزْرِ[٤]

ولا أدلَّ على معنى العداوةِ من إشارةِ (شَزَرَ) من تَضَمُّنِها معنى «الطَّعْنِ».

يقال: طعَنَهُ شَزْرًا إذا طعنَهُ عن يمينِهِ وشِمالِهِ[٥]، فالطعنةُ والنظرةُ عندها سيَّانِ.

وتحكي «الشَّزْرُ» معاني الهَجْرِ في ميدانِ الحُبِّ، وهي تشابِهُ إلى حدٍّ كبيرٍ نظرةَ العدوِّ المُباغِضِ؛ لأن وَقْعَ نظرةِ «الشَّزْرِ» على الحبيبِ أَشَدُّ من وَقْعِ الحُسام المهَنَّدِ من شواهِدِهِ قولُ صريعِ الغواني:

جَعَلْنَــا عَلَامَــاتِ المــودَّةِ بَيْنَنَــا ... مَصَـايِدَ لَحْـظٍ هُـنَّ أَخْفَـى مِـنَ السِّـحْرِ

---

(١) «فقه اللغة» (٦٨).

(٢) «أساس البلاغة» للزمخشري (٣٢٨).

(٣) «ديوان الأعشى» (٢٩٥) شرح محمد محمد حسين.

(٤) «مجمع الأمثال» (٢/ ٢٥٠).

(٥) «المختار من شعر بشار» (١٠٠).

فـأعْرِفُ فِيهَـا الوَصْـلَ فِي لِـينِ طَرْفَهـا وأعْرِفُ فِيهَا الهَجْرَ فِي النَّظَرِ الشَّزْرِ[١]

فقد عرفَ الوَصْلَ والهَجْرَ من إشارةِ لحْظها، كأنها لسانُ مقالٍ يُنَبِّئُ ويتكلَّمُ ويُخْبِرُ... ببراعةٍ تفوقُ صوتَ اللسانِ وخَطَّ البنانِ؛ لما فيه مِن كِتْمانٍ «هُنَّ أخفى من السِّحْرِ».

٤٠- شَفَنَ:

الشَّفَنُ هو النظرُ في اعتراضٍ[٢] وإشارتُها تصدُرُ عن المُتَعَجِّبِ منه أو الكارهِ له أو المُبغِضِ إياهُ، قال رؤبةُ يَرُدُّ على الشَّفونِ اللواتي قتلنَهُ بجفونِهِنَّ وعيونِهِنَّ:

يَقْـتُلْنَ بـالأطْرَافِ والجُفُـونِ كُـلَّ فتـى مُرْتَقِـبٍ شَـفُونِ[٣]

وتَفهَمُ الزوجةُ كلامَ زوجِها من خلالِ إشارةِ العينِ خاصَّةً عند وجودِ الأطفالِ كما قال القطاميُّ:

يُسـارِقْنَ الكَـلَامَ إلـيَّ لمَّـا حَسَسْـنَ حِـذَارَ مُرْتَقِـبٍ شَـفُونِ[٤]

٤١- صَفَحَ:

الصَّفَحُ النَّظَرُ في كتابٍ أو حسابٍ ليهذِّبَهُ، أو ليستكشِفَ صحَّتَهُ وسَقَمَهُ[٥] وقد يتعدَّى النظرُ الكتابَ والحسابَ إلى أمورٍ معنويَّةٍ، منها تَصَفَّحَ الأمرَ وصَفَحَهُ، وصَفَحَ القومَ إذا نظرَ إليهم طالبًا لإنسانٍ، وَصَفَح وجوهَهم وتصفَّحها نظرها مُتَعرِّفًا لها.

---

(١) «العقد الفريد» (٢/ ٣٦٢).

(٢) «خلق الإنسان» (٣٣).

(٣) «ديوان رؤبة» (ص١٧٨).

(٤) «ديوان القطامي» (١٨١).

(٥) «فقه اللغة» (٦٨).

والعينُ تكتبُ لَفْظَةَ «الصفح» عن طريقِ فتحِ الجفونِ وإمعانِ النَّظَرِ في وجه الشيءِ وناحيتِهِ، للوقوفِ على خفايا الأمورِ؛ لأن كثرةَ حركةِ العينِ تُفْقِدُها التركيزَ.

قال ابنُ الأعرابي - موضِّحًا تعبيرَ صفحِ العينِ، وضوابطَها الأخرى كحركاتِ الحواجبِ -:

صَفَحْنَا الحُمُولَ للسَّلَامِ بنظرةٍ فَلَمْ يكُ إلا وَمْؤُها بالحَواجِبِ[١]

ولا أَدَلَّ على تعبير العينِ بالصفحِ واللسانِ بالقولِ من قولهم: أبدى له صفحتَهُ كاشفةً[٢] وكذا العينُ تكاشِفُ الإنسانَ بإشارتِها.

٢٢- ضيقُ العين:

يقابلُ انبساطَ العينِ نتيجةَ رضاها الذي تسطِّرُهُ «امتلاءُ العينِ»، انحسارٌ ترسمه بشكل ضيق والعين تضيق عندما ما يصيبها الوهَنُ من كَثرة النظر وبذلك تخبر عن حالها بلسان شكلها ووضعها.

استعير ضيق العيون مجازًا ليكون به عن معنى «البخل»، وسرى حتى باتَ حقيقة[٣] من شواهده التي توضحُ المرادَ قول ابنِ النبيه:

يَعيدُ بِطَرْفِهِ التركي عَنِّي صَدَقْتُم إن ضِيقَ العَيْنِ بُخْلُ[٤]

وعلَّةُ استعارة ضيق العين للبُخْلِ نابعٌ من أصلٍ اجتماعيٍّ. فالعربيُّ مشهورٌ بكرمِهِ وبسَعَةِ عينيهِ، إن تَغَزَّلَ ذكرَ العُيونَ النُّجْلَ والحُورَ الدُّعْجَ... أما الأعجميُّ وبخاصَّةٍ

(١) «لسان العرب» (٢/ ٥١٥).

(٢) «أساس البلاغة» (٣٥٦).

(٣) الاسمُ إذا كَثُرَ استعمالُهُ مجازًا يصبحُ حقيقةً عُرْفيَّةً ينظر «الغيثُ المنسجمُ» (٢/ ٢٩).

(٤) ديوان الصيابة (٩٣).

التركيُّ فموصوفٌ بضيقِ العينين، فاستعارةُ اللفظِ من بابِ المشابهةِ بين المقامين. والموازنةُ بين غَزَلِ الشعراءِ بالعيونِ تُلقي الأضواءَ على حقيقةِ الغباء ضيقِ العينِ، وكيفيَّةِ استخدامِها. لقد أولعَ الشعراءُ المتقدِّمون بذكرِ العيونِ النُّجْلِ في غَزَلِهم، على شاكلةِ ما جاءَ في قولِ سيفِ الدينِ بن المُنْشِدِ:

إنْ أنْكَـرَتْ نَجْـلُ العيـونِ جراحَتـي ... فَـــدِليلُ قَتْلِـــي أنَّهـــا نجـــلاءُ[١]

أما المتأخِّرون فإنَّهم تغزَّلوا بالعيونِ الضيِّقةِ، وهي عيونُ الأتراكِ، يَشْفَعُ ذلك ما نقلَهُ صلاحُ الدين الصَّفْديُّ:

أبادِيَـــةَ الأعـــرَاب عنِّـــي فَـــإنَّني ... بِحَاضِـــرَةِ الأتـــراكِ نِيطَـــتْ علَائِقـــي

وأهْلَـــكِ يـــا نجْـــلا الْعُيُـــون فـــإنني ... فُتِنْـــتُ بِهَـــذا المَنْظَـــرِ المُتَضَـــايِقِ[٢]

وبهذا أصبحت «ضيقُ العين» تؤدي معنى البُخْلِ[٣]، حملًا على صفةِ التُّرْكِ، وسَعَةُ العينِ تَنُمُّ عن الكَرَمِ قياسًا على صفةِ العربِ يَشْفَعُهُ قولُ ابنِ حجلةَ:

ضَـيِّقُ العَـيْنِ وهـو مـن صِـفَةِ البُخـ ... ـلِ فـإنْ جـادَ كَـانَ ضِـدَّ القيـاسِ[٤]

٤٣- الغَضُّ:

«الغَضُّ كَسْرُ البَصَرِ أي خَفْضُهُ وكَفُّهُ» وقد أغْضى عن الشيءِ وغَضَّ طَرْفَهُ عنه وحَوَّل

---

(١) الغيث المنسجم (٢/ ١٩).

(٢) المرجع السابق (٢/ ١٩).

(٣) وعلماءُ النفسِ يقولون: العيونُ الضيِّقَةُ يتصِفُ صاحبُها بالذَّكاءِ والحِدَّةِ، والرقَّةِ وقوَّة الملاحظةِ وتحكيم العقل!

(٤) «ديوان الصبابة» (٩٣).

بصرَهُ وصَرَفَهُ وقَصَرَهُ وكفَّهُ وردَّهُ أعرضَ عنه بِطَرْفِهِ، ومال عنه بنظرِهِ[١] قال الله ﷻ: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَـٰرِهِمْ﴾ [النور: ٣٠] نَقَلَ الشَّنقيطيُّ عن الزمخشريِّ قولَهُ: مِنْ للتَّبْعيضِ والمرادُ غَضُّ البَصَرِ عمَّا يَحْرُمُ، والاقتصارُ به على ما يَحِلُّ»[٢].

والغَضُّ تُسطِّرُهُ إشارةُ العينِ إما بانْسِدالِ الجُفونِ[٣] عليها، أو بإعْراضِ الطَّرْفِ عنهُ.

وكلامُ العينِ يتطابقُ مع الفَمِ في مادَّةِ (غَضَّ) يؤازرُ ذلك قولُهُ - جلَّ وعلا -: ﴿وَٱقْصِدْ فِى مَشْيِكَ وَٱغْضُضْ مِن صَوْتِكَ﴾ [لقمان: ١٩] وفيه ساوى بين الصوت والنظرِ وكلاهما آلةُ تعبيرٍ ووسيلةُ كلامٍ، حِينَ أمر بتقصيرِ النظرِ في الآيةِ الأولى وخَفْضِ الصوتِ في الثانيةِ بواسطةِ الفعلِ «غضَّ».

وتعودُ أسبابُ غَضِّ الطرف إلى مواقفَ اجتماعيةٍ تعبيريَّةٍ، منها الفَرَحُ. وَرَدَ في الحديثِ: «كان إذا فَرِحَ غضَّ طَرْفهُ»[٤] أي كَسَرَهُ وأطْرَقَ ولم يفتحْ عينيه وإنما كان يفعلُ ذلك ليكونَ أبعدَ من الأشرِ والمَرَحِ ومنهُ ما جاء في قصيدةِ كعبِ بن زُهَيْرٍ:

وما سَعادُ غَدَاةَ البَيْنِ إذْ رَحَلُوا ... إلَّا أغَنُّ غَضِيضُ الطَّرفِ مكحولُ[٥]

وغضيضٌ فعيلٌ بمعنى مفعولٍ، أي بمعنى مغضوضٍ، وذلك إنما يكونُ من الحياءِ والخَفَرِ. وتَحمِلُ إشارةُ غَضِّ الطرفِ معنى المكروهِ والخَوْفِ من رفعِ النَّظَرِ إلى ما لا يَحِلُّ.

---

(١) «نجعة الرائد» (١/ ٢٩).

(٢) «أضواء البيان» (٦/ ٢١٠).

(٣) قال ابنُ منظورٍ: غَضَّ طرفَهُ إذا دانى بين جفونِهِ ونَظَرَ «لسان العرب» (٧/ ١٩٧).

(٤) (غريبٌ) قالَ الألباني في «الضعيفة» (٦٢٣٣) غريب ولم أقف على إسنادِهِ حتَّى الآنَ، وإنما أورَدهُ ابنُ الأثيرِ في مادَّةِ غَضَضَ.

(٥) «ديوانُ كعبِ بنِ زُهَيرٍ» (٦٠).

وما كان غَضُّ الطَّرْفِ مِنَّا سجيَّةً ولكِنَّنا في مذحَجٍ غُرُبانُ[١]

٢٤- غَمَزَ[٢]

تتكوَّنُ مفردةُ الغَمْزِ من إشارةِ العينِ أو الجَفْنِ أو الحاجبِ[٣]، وقد تَحْدُثُ باليَدِ وهي حَركةٌ تُشْبِهُ النَّخْسَ في الشيءِ بشيءٍ[٤] ثم استُعِيرَتْ إلى العينِ قال الله ﷻ: ﴿وَإِذَا مَرُّوا۟ بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [المطففين: ٣٠].

وتحكي إشارةُ الغَمْزِ النَّقيصَةَ والمعايبَ قالوا: غَمَزَ إذا عابَ وذَكَرَ بغَيرِ الجميلِ والمغامِزُ المعايبُ[٥] ومنه قيلَ ما في فلانٍ غَمِيزةٌ أي نقيصةٌ يُشار بها إليه[٦] وعليه فإن الناظِرَ في الغَمْزِ يطلبُ العيبَ للمنظورِ إليه ويسعى به شرًّا. قال الكميتُ:

ومَنْ يُطِعِ النِّسَاءَ يُلَاقِ مِنْهَا إِذَا أَغْمَزْنَ فيه الأَقْوَرِينا[٧]

وفَسَّرَ مقصدَهُ ابنُ مَنْظورٍ بقولِه: «الأَقْوَرينا الدواهي، يقول: من يُطِع النِّساءَ إذا عِبْنَهُ وزَهِدْنَ فيه يلاقِ الدواهيَ التي لا طاقَةَ لَهُ بها»[٨].

٢٥- الفُتُورُ:

---

(١) «لسان العرب» (٧/ ١٩).

(٢) علماءُ النفسِ يُحَذِّرون من أصحابِ العيونِ الغمَّازةِ لأنه يمتلكُهُ الخُبْثُ والأنانيَّةُ والتعالي.

(٣) «القاموس المحيط» (٢/ ١٨٥).

(٤) «معجم مقاييس اللغة» (٤/ ٣١٤).

(٥) «المرجع السابق» (٤/ ٣١٤).

(٦) «مفردات الراغب» (٣٦٥).

(٧) «لغة العيون» (٨٦).

(٨) «لسان العرب» (٥/ ٣٨٩).

الفُتُورُ: النظرُ في سكونٍ، يقالُ رجلٌ فاتر الطرفِ إذا كان ينظرُ في سكونٍ[١] وحقيقتُهُ انكسارُ الطرفِ وضعفُ الجفون. وهو عنوان الضَّعْفِ لا القوَّةِ على اختلاسِ النظَرِ بحدَّةٍ وشدَّةٍ وإشارتُها تصدُرُ عن العاشقِ الذي يلاحِقُ حبيبتَهُ بناظريهِ، أو مَن يراقبُ هدفًا بعينيه، بُغْيةَ الوقوفِ على حقيقته، ونتيجَةَ الملاحقةِ والمراقبةِ الدائبتينَ يَلْحِقُهُ النَّصَبُ والتعبُ رُوِيَ عن العربِ قَولُهُم: «طرفٌ فاترٌ: فيه فتورٌ وسُجُودٌ ليس بحادِّ النَّظرِ، وأفْتَرَ الرجُلُ فهو مُفْتِرٌ إذا ضَعُفَتْ جفونُهُ فانكسرَ طَرْفُهُ»[٢].

٢٦- اللَّحْظُ:

تبرزُ إشارةُ «اللحْظِ» حين ينظرُ الإنسانُ إلى الآخرِ من جانب الأُذُنِ[٣] قال ابنُ الأثيرِ: هو النظَرُ بشِقِّ العينِ الذي يلي الصَّدْغَ[٤] وتدلُّ «اللحْظُ» على الغَضَبِ[٥] واللحظُ أشدُّ التفافًا من الشَّزْرِ. قال الأزهريُّ: «اللحظُ هو أن ينظرَ الرجلُ بلحاظِ عينيه إلى الشيءِ شَزْرًا، وهو شِقُّ العينِ الذي يلي الصدغَ»[٦] قلت: إذا رأيتَ اللحْظَ من رئيسِكَ في العملِ أو والديك أو مُحِبِّيك ففتش في سِجلِّك وهل هناك ما يؤخَذُ عليك فإن أعياكَ فقد يكونُ بفعلِ واشٍ فلا بُدَّ لك من المصارحَةِ بأدبٍ ولباقةٍ كأن تقول: أَخي هل وجَدْتَ عليَّ في نفسِكَ؟ قد أكونُ مخطئًا في حقِّكَ! وهَلُمَّ جرًّا وكثيرٌ

---

(١) «نجعة الرائد» (١/ ٢٧).

(٢) «لسان العرب» (٥/ ٤٣ - ٤٤).

(٣) فقه اللغة (٦٨).

(٤) «النهاية في غريب الحديث» (٤/ ٢٣٧).

(٥) «نجعة الرائد» (١/ ٢٧).

(٦) «لسان العرب» (٧/ ٤٥٨).

من الناسِ يَرَوْنَ اللحاظَ من أحبابهم صواعقَ حين.

قال ابن المعتزِّ - داعيًا أن تَبْرأ عينُه من غضبِهِ الذي يفضَحُهُ لحظُهُ:

كَـذَبْتَ يـا مـن لحَـانِي في مَحَبَّتِـهِ ... مـا صُـورَةُ البَـدرِ إلا دون صُـورَتِهِ

يَـا رَبِّ إنْ لَـمْ يكـن في وصـلِهِ طَمَـعٌ ... وَلَـمْ يكُـنْ فَـرجٌ مِـنْ طُـولِ جَفْوتِـهِ

فاشْـفِ السِّـقَامَ الـذي في لحـظِ مُقْلتِهِ ... واسْـتُر ملامـةَ خَدَّيْـهِ بلحيتِـهِ[1]

٤٧- اللَّمْحُ:

اللمحُ النظرُ بعَجَلَةٍ[2] كأن الناظرَ يفتحُ عينيه إلى الشيء، يَخْتَلِسُ النظرَ ثم يُطْبِقُها ويميلُ بوجهِهِ عنه بسرعةٍ كالبرقِ، حتَّى لا يراه أَحَدٌ.

قال الزمخشريُّ: رأيتُهُ لمحةَ البَرْقِ، ولمحتُهُ بِبَصَري: اختلستُ النظرَ إليه، وهو أسرعُ من لَمْحِ البصرِ[3].

قال الله ﷻ: ﴿كَلَمْحِ بِٱلْبَصَرِ ﴿٥٠﴾﴾ [القمر: ٥٠]، وهي تُؤَدِّي المعنى الممنوعَ؛ لأن الاختلاسَ نوعٌ من السرقةِ، والسرقَةُ من الممنوعاتِ، يبرزُ اللمحُ في النظرِ إلى العوراتِ، أو إلى ما هو عليه من المُحَرَّماتِ.

٤٨- نَفَضَ:

إذا نظرَ إلى جميعِ ما في المكانِ حتَّى يَعْرِفَهُ[4]، مع شيءٍ من الحَذَرِ والحِيطَةِ.

---

(١) «زيدان ابن المعتز» (١٣٧).

(٢) «فقه اللغة» (٦٨).

(٣) أساس البلاغة، (٥٧٢).

(٤) «فقه اللغة» (٦٨)، و«القاموس المحيط» (٢/ ٣٤٦).

قال زُهَيرٌ يصفُ بقَرةً فقدتْ وَلَدَها، فأخذتْ تنظرُهُ محتاطةً خَشْيةَ أن ترى ما تَكْرَهُ:

وتَــنْفُضُ عَنْهَــا عَيْــبَ كُــلِّ خَمِيلــةٍ وتَخْشَى رُمَاةَ الغَوْثِ من كُلِّ مَرْصَدِ(١)

و«نَفَضَ» حركةُ العينِ تؤدي معنى المهابةِ، وردَ استعمالهم: «فلانٌ يستنفِضُ طَرْفُهُ القومَ أي يُرعِدُهم لهيبتِهِ»(٢) وإشارة «نَفَضَ» بما تحملُ من معاني الهيبةِ والرعدَةِ تصدُرُ عن الملوكِ، وذوي النفوذِ والشأنِ.

قال العجير السلولي:

إلــى مِلــكٍ يَسْــتَنْفِضُ القَــوْمَ طَرْفُــهُ لَــهُ فَــوْقَ أعْــوَادِ السَّــرِيرِ زَئِيــرُ(٣)

وهو يُتْبِعُ نظرَهُ بصرخةِ الزَّئيرِ من فوقِ سريرِ العرشِ ليزيدَهم مهابةً، يساعدُ الصوتُ العين في كلامِها، وتبليغِ مرامِها.

٤- الحاجبانِ والجبينُ(٤)

فســلَّمْتُ إيمــاءً وودَّعْــتُ خفيــةً فكان جوابي كسْرَ عينٍ وحاجِبِ(٥)

للجَبينِ لغةٌ يفهمُها مَنْ لَهُ أدنى شيءٍ من الفراسةِ وكذلك الحاجبان فحركتُهما إلى أعلى تعني الرَّفْضَ وعدمَ الموافَقَةِ وتقطيبُهما(٦) مع عُبوسِ الجبينِ يدلَّان على

(١) «ديوان زهير» (شرح ثعلب) (٢٢٨).

(٢) «أساس البلاغة» (٦٤٨).

(٣) «لسان العرب» (٧/ ٢٤١).

(٤) انظر «لغة العيون» (١٢٩ - ١٣٠).

(٥) «محاضرة الأدباء» (٢/ ١٢٧).

(٦) القافُ والطاءُ والباءُ أصلٌ صحيحٌ يدلُّ على الجمع ومنه قولهم: «قَطَبَ الرَّجُلُ ما بين عينيه» =

الانزعاجِ والموقفِ السَّيِّءِ الذي يقعُ فيه الإنسانُ[١].

ومن طريفِ ما يذكر أَنَّه كان لأبي نواس صاحبٌ يُدعى «الْفَضْلَ» كان مَرَّةً يُقَلِّبُ الخبزَ والسمكَ بين يديه كأنَّه يلاعبُ أطفالَهُ من شِدَّةِ حبِّهِ وشهيتِهِ لأكْلِها.

ولكنْ حين رأى أبا نُواس قادمًا عليه أصابَهُ الغَمُّ والاكتئابُ فَعَبسَ جبينُهُ وقطَّبَ حاجبيه من هَمٍّ وحُزْنٍ، ظنًّا منه أن أبا نواس سيشاركُهُ طعامَهُ.

ولما رأى أبو نُواس حَالَهُ وقرأَ من جبينِهِ مَقَاله ورأى في حاجبيه فعاله، أرادَ أن يُهَوِّنَ عليه ويُطَمْئِنَهُ ويهدِّئَ من رَوْعِهِ، فأقسمَ له بأَنَّه صائمٌ، فما لَبِثَ الفضلُ أن انْفرجتْ أساريرُهُ، وعادت الضحكةُ إليه.

فقال أبو نواس:

رأيـــتُ الْفَضْـــلَ مكتئِبًـــا ... يُنـــاغي الْخُبْـــزَ والسَّـــمَكَا
فقطَّـــبَ حِـــينَ أبصـــرَني ... ونَكَّـــسَ رأسَـــهُ وبَكـــى
فلمَّـــا أَن حَلَفْـــتُ لَـــهُ ... بـــأني صـــائمٌ ضَـــحِكَا[٢]

٥- فراسةُ العُمْر:

يـا أيهـا الرجـلُ الحـريص أمـا تـرى ... أعْـلَام عمـرك كـلِّ يـومٍ تـدرس[٣]

= «معجم مقاييس اللغة» (٥/ ١٠٥).

(١) تقطيب الحاجبين علامةُ الاستياء، أو التفكير، أو الاضطرابِ والتشويش ورفعُ الحاجبين يدلُّ على الدهشة أو الرِّيبة أو الرغبة «لغةُ الحركات» (٦٧).

(٢) «ديوان أبي نواس» (٥٣٥).

(٣) «أمالي الزجاجي» (٣٦).

ما من شكٍّ أنَّ كلَّ وقتٍ من العُمُرِ له ميزةٌ وبابٌ يتَفَرَّسُ فيه المتفرِّسُ، والإنسانُ خلالَ سِنيِّ عمرِهِ يَمُرُّ بأربعِ مراحِلَ وهذه المراحلُ هي ما يأتي[١]:

١- الطفولةُ. ٢- الشبابُ.

٣- الكهولةُ. ٤- الشيوخةُ.

وسوفَ أتحدَّثُ عن كلِّ مرحلةٍ من تلك المراحِلِ التي ينبغي أن يعرفَها المتفرِّسُ.

١- **الطفولةُ:**

فـــاليومَ أَصْـــبَحَتَا بحـــالِ طَفولَـــةٍ في العِلـــمِ تلتمســـانِهِ تطفـــيلا[٢]

الطفولةُ تبدأُ من المهدِ حتى خمسةَ عَشَرَ عامًا.

ويتميَّزُ أصحابُ هذا السنِّ بما يأتي:

١- شهوتُهم مقصورةٌ على الأمورِ الطبيعيَّةِ الخاصَّةِ بالبَدَنِ دون النِّساءِ غالبًا (أي الأكلُ والشربُ واللعبُ...).

٢- يَمَلُّون سريعًا فإذا قضى أحدُهم حاجتَهُ من أمرٍ ظَلَّ يتطلَّعُ إليه إلا تطلَّعَ إلى غيرِهِ وهكذا.

٣- يغلبُ عليهم حُبُّ الكرامةِ والشرفِ والشُّهْرةِ والعلوِّ على حُبِّهم للمالِ؛ لأنهم لم يُقاسُوا الحاجةَ.

٤- يتميَّزون بسرعةِ التصديقِ بكلِّ ما يُلقَى إليهم لقلَّةِ تجاربهم؛ لهذا يسهُلُ تربيتُهم والتأثيرُ عليهم في هذه السِّنِّ.

---

(١) انظر «الفراسة» للرازي (٦١ - ٦٤).

(٢) «صيد الأفكار» (٢٧).

٥- يغلبُ عليهم رجاءُ الخيراتِ لا تَوقُّعُ الشرورِ والآفاتِ.

٦- فطرتُهم سليمةٌ مما يُسَهِّلُ تَشْكِيلَهُم وتعلمَهُم العلومَ.

٧- يغلِبُ عليهم الحياءُ؛ لأنَّهم لم يقَعُوا في الفواحشِ الموجبةِ للوقاحةِ.

٨- لقلَّةِ علومِهم وتجاربِهم يشعرون بالنَّقْصِ فهم يقبلون كل ما يُلقَى عليهم.

٩- يَغلبُ عليهم الرحمةُ للآخرين ويَبْعُدُ عن طباعِهم القسوةُ والغلظةُ.

١٠- يغلبُ عليهم عادةُ الإكثارِ من الأسئلةِ لاستكشافِ العالمِ من حولِهِمْ.

٢- الشبابُ:

إنَّ الشـــبابَ حُجَّـــةُ التصـــابي روائـــحُ الجنَّـــةِ في الشَّـــبابِ[١]

الشبابُ أهمُّ مرحلةٍ في العمرِ وأطولُها وأعظمُها راحةً وسعادةً وقوةً وحيويةً.

وتبدأُ من خمسَةَ عَشَرَ عامًا حتَّى خَمْسٍ وثلاثين عامًا[٢].

ويتميزُ الشبابُ بما يأتي:

١- حُبِّ الحياةِ والتمتُّعِ بالجمالِ.

٢- شهواتُهُم متعدِّدَةٌ وهي إلى النساءِ أشدُّ.

٣- يميلون إلى المصاحبةِ والمعاشرةِ لا لتحصيلِ المنافعِ وإنما لتحصيلِ اللَّذةِ.

٤- هزلُهم يغلبُ جدَّهم.

---

(١) «الإعجاز والإيجاز» (١٥٠).

(٢) مرحلة الشباب طويلة وممتعة، أما طولها فهي ٢٠ عامًا كلها متعة وصحة حتى قيل روائح الجنة فيها.

٥- يُحْسِنون الظنَّ بأنفسِهم إلى درجةِ الإفراطِ.

٦- يتميَّزون بالشجاعةِ.

٧- يَظْلِمُون لكن تغلِبُ عليهم الرَّحمةُ وسَرعانَ ما يعُودون إذا علموا أنَّهم واقعون في الظلمِ ووجدوا من يَنْصَحُ لهم.

ومن جميلِ ما قيلَ في الشبابِ قولُ هارونَ المنجمِ:

أَعْـــطِ الشـــبابَ نصـــيبَهُ ... مـــا دُمْـــتَ تُعْـــذَرُ بالشـــبابِ

وانعَـــمْ بأيـــام الصـــبا ... واخلـــعْ عـــذارَكَ في التصـــابي[1]

٣- الكهولة:

فـــالعيش في ظـــلِّ أيـــامِ الصـــبا فـــإذا ... فارقتَ غصنَ الشبابِ الغصنِ لـم يَطِبِ[2]

تبدأُ من خمسةٍ وثلاثين عامًا حتى خمسين عامًا.

وهي سنُّ النضوجِ خاصَّةً الأربعين قال اللهُ ﷻ: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَٱسْتَوَىٰٓ ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا﴾ [القصص: ١٤].

والأنبياءُ يُبعثون في سنِّ الأربعين ويُحكى أن ملوكَ الأعاجمِ ما كانوا يختارون للمحاربةِ مع الأعداءِ الأقوياءِ إلا أصحابَ هذه السنِّ؛ لأن القوةَ العقليةَ متكاملةٌ، والقوةَ الجسمانيةَ غيرُ متناقصةٍ.

ويتميزون بما يأتي:

١- النضوجُ.

---

(١) «أحسن ما سمعتُ» (٧٩).

(٢) «أحسن ما سمعتُ» (٧٩).

٢- التوسُّطُ في كلِّ الأمورِ كالتوسُّطِ بين الشجاعة والتهوُّرِ والتكذيبِ بين الجِدِّ والهزْلِ.

٣- يصلحُون للأمورِ العظامِ والمهامِّ الجسامِ متى انطبقتْ عليهم الشروطُ المطلوبةُ من أصحابِ هذه السنِّ.

٤- الشيوخَةُ:

مشيبُ الذي يبكي الشبابَ مشيبُهُ فكيف توقيه وبانيه هادمُهْ[١]

تبدأُ سنُّ الشيوخةِ من ٥٠ حتى ٧٠ عامًا[٢].

ويتميَّزون بما يأتي:

١- علمُهُم بعواقبِ الأمورِ أَتَمُّ لكثرةِ تجارِبِهم.

٢- يميلون لتحصيلِ الحَمْدِ أقلَّ من تحصيلِ المالِ.

٣- يميلون لتحصيلِ المالِ وطولِ العمرِ أَشَدُّ[٣].

---

(١) «أبو الطيب ما له وما عليه» (١٤١).

(٢) ذكر تلك الأقسامَ ابنُ الجوزي رَحِمَهُ اللَّهُ وقال: من ٧٠ فما فوق هَرَمٌ.

(٣) مما يدل على تحصيل المالِ وطولِ العمرِ ما جاء في صحيح البخاري (٢٣٦٠)، ومسلم (١٠٤٧)، والترمذي (٢٣٤٠) وابن ماجه (٤٢٣٤) من حديثِ أنسِ بنِ مالكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قال: «يَهْرَمُ ابنُ آدَمَ ويَشِبُّ منه اثْنَتَانِ: الحرصُ على المالِ، والحرصُ على العُمر» وفي روايةٍ: يَكْبَرُ ابنُ آدَمَ ويَكْبَرُ مَعَهُ اثْنَتَان: حبُّ المالِ، وطولُ العُمُرِ».

أي أن تلكَ الخصالَ تتحكَّمُ في قلبِ الشيخِ كاستحكامِ قوةِ الشبابِ في شبابِهِ (الحرصُ والأملُ) فالحرصُ فقرٌ ولو ملك الدنيا والأملُ هَمُّهُ وتعبُهُ والمرءُ جُبِلَ على حُبِّ الشهواتِ وإنما تنالُ هي بالمالِ والعُمُرِ. وقيل: إنما يشيبُ مع الآدميِّ هاتان الخصلتان لطولِ صحبتِهِ إياهما. وكثرةِ أُنْسِهِ بهما، فكلَّما =

٤- شهوتُهم للأكلِ أشدُّ من النساءِ.

٥- يميلون إلى العَدْلِ وحُبِّ السلامةِ.

٦- لا يُذعِنون لأحدٍ بسهولةٍ.

عوامُّ الشيوخِ:

عوامُّ الشيوخِ يتميَّزون بإضافةٍ إلى ما سبق:

١- أخلاقُهم سَيِّئةٌ؛ لأجلِ أنَّهم إذا شاهدوا شيئًا فقد شاهدوا مثلَهُ وذلك يوجِبُ قلَّة التعظيمِ.

٢- الوقاحةُ تكونُ غالبةً عليهم؛ لأنَّهُ ما مِن قبيحٍ إلا وقد شاهدوه من أنفسِهم أو من غيرِهم، وكثرةُ الأُلفَةِ تُسقِطُ الكُلْفَةَ.

٣- يغلبُ عليهم البخلُ بسببِ جُبنِهم وخوفِهم من الفَقْرِ عن الإنفاقِ؛ لأنهم شاهدوا أنَّ الغالبَ على أهلِ الحكمِ الحرمانُ والإخفاقُ.

ولأنَّ الجبنَ قرينُ البخلِ كما الشجاعةُ والجودُ صنوانِ لا يفترقان.

٤- غضبُهم يكونُ حادًّا وضعيفًا أما الحدَّةُ؛ لأَنَّ السقيمَ سريعُ الغضبِ، وأما الضَّعفُ بسببِ استيلاءِ الخوفِ والْجُبْنِ عليهم.

قال الماورديُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

«... الأمراضُ التي يتغيَّرُ بها الطبعُ ما يتغيَّرُ بها الجسمُ، فلا تبقى الأخلاقُ على

= طالَ صحبتُهما عَسُرَ الخلاصُ من حبِّهما، فيكونُ معنى قولِهِ: تشيبُ أي تقوى فكأنه لما كَبُرَ هو ضَعُفَ، وكلما زادتْ صحبتُهما له قويا» انظر: الإفصاحَ عن معنى الصحاح (٥/ ١٨٨).

اعتدالٍ ولا يُقْدَرُ معها على... ومنها عُلُوُّ السِّنِّ وحدوثُ الهَرَمِ لتأْثيرِهِ في آلةِ الجَسَدِ كذلك يكونُ تأثيرُهُ في أخلاقِ النفسِ، فكما يَضْعُفُ الجَسَدُ عن احتمالِ ما كان يُطِيقُهُ من أثقالٍ فكذلك تَعْجَزُ النَّفْسُ عَنْ أثقالِ ما كانت تصبرُ عليه من مخالفةِ الوفاقِ، ومضيقِ الشِّقَاقِ.»[١].

ولله در المتنبي حين قال:

آلـــة العـــيش صـــحة وشـــبابُ ... فـــإذا ولَّيـــا عـــن المـــرءِ ولَّـــى

وإذا الشـــيخُ قـــال أُفٍّ فمـــا مَـــلَّ ... حيـــاةً وإنَّمـــا الضَّـــعْفَ مَـــلَّا[٢]

٥- يظلمونَ غيرَهم على سبيلِ الخُفيَةِ والمكْرِ والخديعةِ لخوفِهم وجبنِهم.

٦- يرحمون النَّاسَ لا لحبِّهم لهم، وإنَّما لضَعْفِ أنفسهم، ولكونِهم غيرَ قادرين على تحمُّلِ المؤاذةِ وهذه الأخلاقُ إنما هي في العوامِّ وخاصةً جُفاة الأعرابِ منهم بخلافِ مَنْ عاشَ التديُّنَ والصلاحَ حتَّى العاميَّ إذا عاد إلى التديُّنِ بصدقٍ وجَعَلَ الآخرةَ أمامَهُ والدنيا خلفَ ظهرِهِ هُذِّبَتْ أخلاقُهُ ونادرًا ما تبقى رواسبُ تستعصي عليه.

(١) أدب الدنيا والدين (٢٤٦).

(٢) المرجع السابق (٢٤٦).

فراسةُ الأغنياءِ

يقـيم الرجـالُ الأغنيـاءُ بأرضِـهِمْ وترمي النَّوى بـالمُقْترِينَ المراميا[١]

الأغنياءُ في الأصلِ تهابُهُمُ العامةُ حتى بعضُ أهلِ العلمِ تُجِلُّهم ومما قيلَ إنَّه «مر رجلٌ من الأغنياءِ برجلٍ من أهلِ العلمِ فتحَركَ له وأكرمَهُ، فقيل له: هل كانتْ لك إليه حاجةٌ؟ قال: لا ولكنَّ ذا المالِ مهيبٌ»[٢].

وقال الشاعرُ:

أرى كـلَّ ذي مـالٍ يُجَـلُّ لمالِـهِ ومَـن لـيس ذا مـالٍ يُهـانُ ويَحْقَـرُ
ويخذُلُـهُ الإخـوانُ إن قـلَّ مَالُـهُ ولـيسَ بمحبـوبٍ بلـى هـو يُهْجَـرُ[٣]

وممَّا يَحْسُنُ أنْ تعرفَهُ عن فراسةِ الأغنياءِ ما يأتي[٤]:

١- التسلُّطُ على الناسِ.

٢- الاستخفافُ بهم.

٣- يعتقدون بأنفسِهِم كونَهم فائزين بالخيراتِ.

٤- يحبُّون الثناءَ الجميلَ.

٥- يحكمونَ على غيرِهم بالحَسَدِ لهم.

---

(١) التذكرة الحمدونية (١/ ٢٤).

(٢) «المحاسن والمساوئ» (١٢٩).

(٣) «المرجع السابق» (١٢٩).

(٤) انظر «الفراسة» للرازي (٦٥ - ٦٦).

٦- بسببِ فقرِهم المتقدمِ يشتدُّ حرصُهم على إمساكِ المالِ.

٧- قد يجاهرون بالظلمِ لاعتقادِهم أنَّ أموالَهُم تصونُهم.

وما تقدَّمَ إنما هو فيمَنْ نَشَأَ في الفقرِ ثُمَّ تحوَّلَ عَنْهُ، أما الذي نَشَأَ في النعيم ولم يكابدْ الفاقَةَ فأخلاقُهُ تتميَّزُ بالضِّدِّ مما تقدمَ وذلك متى خُلَّت النفسُ وفطرتُها.

ولهذا قيل: «عليكم ببطُونٍ شَبِعَتْ ثم جاعتْ فإن آثارَ الكرم فيها باقيةٌ، وإياكم، وبطونًا جاعَتْ ثم شَبِعَتْ؛ فإن آثار أَمارةِ اللؤمِ باقيةٌ فيها»[1].

ولله دَرُّ القائلِ:

سَلِ الْفَضْلَ أهلَ الفضلِ قِدْمًا ولا تَسَلْ ... فقيرًا نشا في الفقرِ ثم تحوَّلا

فلو ملك الدنيا جميعًا بأسرِها ... تذكِّرُهُ الأيامُ ما كان أوَّلا

(١) المرجع السابق (٦٥).

الفِراسةُ في القضاءِ

استخراجُ الحقوقِ بالفِراسةِ:

إذا كانت الدلائلُ والقرائنُ ظاهرةً، والشهادةُ ثابتةً ومتَّفِقةً وجَبَ الأخذُ بها وعدمُ الرُّكونِ إلى الفِراسةِ بإصدارِ الحُكْمِ!

ومتى كانت القرائنُ غَيْرَ كافيةٍ، والشهادةُ متعارضةً بحيثُ لا يُطْمَأَنُّ إليها فقد أصبحت الفِراسةُ نورًا يُسْتضاءُ به لمعرفةِ المُحِقِّ من المُبْطِلِ.

وهذا أمرٌ مُجْمَعٌ على جوازِهِ بل وضَرورتِهِ كالتَّفريق عند سماعِ شهادةِ الشُّهودِ ومحاولةِ استخراجِ الحقِّ من كلامِهم.

قال ابنُ القيِّم رَحِمَهُ اللَّهُ: «ولم يزلْ حُذَّاقُ الحُكَّامِ والولاةِ يستخرجون الحقوقَ بالفِراسةِ والأماراتِ فإذا ظَهَرَتْ لم يُقَدِّموا عليها شهادةً تخالفُها ولا إقرارًا وقد صَرَّحَ الفقهاءُ كُلُّهم بأنَّ الحاكمَ إذا ارتابَ بالشهودِ فرَّقَهم وسألَهم كيف تَحَمَّلُوا الشهادةَ وأين تَحَمَّلوها وذلك واجبٌ عليه فمتى عَدَلَ عنه أَثِمَ وجارَ في الحُكْمِ»[١].

وقال: «هذه مسألةٌ كبيرةٌ عظيمةُ النَّفْعِ جليلةُ القَدْرِ إن أهملها القاضي أو الحاكمُ أضاعَ حقًّا كثيرًا وأقامَ باطلًا كثيرًا، وإن توسَّعَ فيها وجعلَ مُعَوَّلَهُ عليها دون الأوضاعِ الشرعيَّةِ وَقَعَ في أنواعِ الظُّلْمِ والفسَادِ»[٢] وسُئِلَ أبو الوفاءِ ابنُ عقيلٍ عن هذه المسألةِ، فقال: ليس ذلك حكمًا بالفِراسةِ بل هو حكمُ الأَماراتِ، وإذا تأملتم الشَّرعَ وجدتموه يُجَوِّزُ التعويلَ على

---

(١) «الطرق الحكمية» لابن القيم (٢٨).

(٢) المرجع السابق (٤).

ذلك وقد ذهبَ مالكٌ رَحِمَهُ اللَّهُ إلى التوصُّلِ بالإقرارِ بما يراهُ الحاكمُ وذلك مسْتَنِدٌ إلى قولِه تعالى: ﴿إِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٢٦﴾﴾ [يوسف: ٢٦][1].

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنَّ النبيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**بينما امْرأتان معهما ابنان لهما جاءَ الذئبُ فأخذَ أَحَدَ الابنين فتحاكما إلى داودَ فقضى به للكبرى فخرجتا فدعاهما سليمانُ فقال: هاتوا السكينَ أَشُقُّهُ بينهما فقالت الصُّغرى: رَحمَكَ الله، هو ابنها لا تشقَّهُ. فقضى بِهِ للصُّغرى**»[2].

وهذا من فِراستِهِ - عليه الصلاةُ والسلامُ - عرفَ أن الرحمةَ ما جاءت إلا من الأُمِّ الحقيقيَّةِ، فأيُّ شيءٍ أحسنُ من اعتبارِ هذه القرينةِ الظاهرةِ؟!

فاستدلَّ برحمةِ الصُّغرى ورضا الكُبرى على ذلك وأنَّ الصغرى رفضت ذَبْحَ صغيرِها بسببِ ما قامَ بقلبِها من الرحمةِ والشَّفَقَةِ التي وضعَها اللهُ في قلبِ الأمِّ، وقَوِيَتْ هذه القرينةُ عنده حتى قَدَّمها على إقرارِها، وحكمَ بِهِ لها مع قَوْلِها هو ابنُها.

السلفُ يَسْتخرجون الحقوقَ بالفِراسةِ:

لا يزالُ الناسُ ولا سيَّما الحكامُ والولاةُ والقضاةُ قديمًا وحديثًا يستخرجون الحقوقَ بالفِراسةِ فمِنْ ذلك:

١- عُمَرُ بنُ الخطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

ومن هذا القبيلِ ما حصلَ من عُمَرَ بنِ الخطابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال ابنُ القيِّمِ رَحِمَهُ اللَّهُ: «ولله فِراسة من إمامِ المتفرِّسين وشيخِ المتوسِّمين: عُمَرَ بنِ الخطابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الذي لم تُخْطِئْ

(١) المرجع السابق (٤).

(٢) (صحيح) أخرجَهُ أحمدُ (٢/ ٣٢٢).

لَهُ فِراسةٌ، وكان يحكمُ بين الأُمَّةِ بالفِراسةِ المُؤَيَّدَةِ بالوحيِ قال الليثُ بنُ سعدٍ: أُتي عمرُ بنُ الخطابِ يومًا بفتى أَمْردَ وقد وُجِدَ قتيلًا على وَجْهِ الطريقِ.

فسأل عُمَرُ عن أمرِهِ واجتهدَ، فلم يقفْ له على خَبَرٍ. فشَقَّ ذلك عليه فقال: اللهم أظفرني بقاتِلِهِ، حتَّى إذا كان على رأسِ الحَوْلِ وُجِدَ صبيٌّ مولودٌ مُلقًى بموضِعِ القتيلِ. فأتى به عُمَرُ. فقال: ظَفِرْتُ بدمِ القتيلِ - إن شاءَ اللهُ تعالى - فدَفَعَ الصَّبِيَّ إلى امرأةٍ، وقال: قومي بشأنه، وخُذِي مِنَّا نَفَقَتَهُ، وانظري من يأخُذُهُ منك. فإذا وجَدْتِ امرأةً تُقَبلُهُ وتَضُمُّهُ إلى صدرِها فأعلميني بمكانِها، فلما شَبَّ الصَّبِيُّ جاءت جاريةٌ، فقالت للمرأةِ: إن سيِّدتي بعثَتْنِي إليكِ لتبعَثي بالصَّبِيِّ لتراهُ وتَرُدَّهُ إليك.

قالت: نعم، اذهبي به إليها، وأنا معك. فذهبَتْ بالصَّبِيِّ والمرأةُ معه، حتَّى دخلت على سيِّدتِها. فلما رأتْه أخذَتْهُ فقبَّلَتْهُ وضمَّتْهُ إليها فإذا هي ابنةُ شيخٍ من الأنصارِ من أصحابِ رسولِ اللهِ ﷺ فأتتْ عُمَرَ فأَخْبَرَتْهُ، فاشتملَ على سيفِهِ، ثم أقبلَ إلى منزلِ المرأةِ فوجدَ أباها متَّكئًا على بابِ دارِهِ، فقال له: يا فلانُ، ما فعلت ابنتُكَ فلانَةُ؟

قال: جزاها اللهُ خيرًا - يا أميرَ المؤمنين -، هي مِن أعرفِ الناسِ بِحَقِّ اللهِ وحَقِّ أبيها، مع حُسْنِ صَلاتِها وصيامِها والقيامِ بدينِها.

فقال عُمَرُ: قد أحببتُ أن أدخُلَ إليها فأزِيدَها رغبةً في الخَيْرِ، وأحُثَّها عليه. فدخل أبوها ودخل عُمَرُ مَعَهُ، فأمر مَنْ عندها فخرجَ وبَقِيَ هو والمرأةُ في البيتِ.

فكشفَ عُمَرُ عن السَّيفِ، وقال: اصدُقيني، وإلا ضربتُ عُنَقَك، وكان لا يَكْذِبُ، فقالت: على رِسلِكَ، فوالله لأَصْدُقَنَّ: إنَّ عجوزًا كانت تدخُلُ عليَّ فأتَّخِذُها أمًّا، وكانت تقومُ من أمري بما تقومُ به الوالدةُ. وكنتُ لها بمنزلةِ البنتِ، حتى مضى لذلك حينٌ، ثم

إنها قالت: يا بُنَيَّتي، إنه قد عَرَضَ لي سَفَرٌ، ولي ابنةٌ في موضِعٍ أَتَخَوَّفُ عليها فيه أن تَضِيعُ، وقد أحببتُ أن أضُمَّها إليك حتى أَرْجِعَ من سفري، فعَمَدَتْ إلى ابنٍ لها شابٍّ أمْرَدَ، فهيَّأَتْهُ كهيئَةِ الجاريةِ، وأَتَتْني به. لا أَشُكُّ أنه جاريَةٌ. فكان يرى مني ما ترى الجاريةُ من الجاريةِ، حتى اغْتَفَلني يومًا وأنا نائمةٌ، فما شعرتُ حتى علاني وخالَطَني.

فمدَدْتُ يدي إلى شَفْرةٍ كانت إلى جنبي فقتَلْتُهُ. ثُمَّ أمرتُ به فأُلقِيَ حيثُ رأيتَ، فاشتملتُ منه على هذا الصَّبيِّ. فلما وضَعْتُهُ ألقيتُهُ في موضِعِ أبيه.

فهذا واللهِ خبرُهما على ما أعلَمْتُكَ. فقال: صدقتِ. ثم أوصاها، ودعا لها وخَرَجَ.

وقال لأبيها: نِعْمَتِ الابنةُ ابْنَتُكَ. ثم انْصَرفَ»[1].

٢- علي بنُ أبي طالبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

ومن ذلك: أن رَجُلَينِ من قُريشٍ دفعا إلى امرأةٍ مائةَ دينارٍ وَدِيعَةً، وقالا: لا تدفَعيها إلى واحدٍ مِنَّا دونَ صاحِبِهِ. فلبثَا حولًا. فجاءَ أَحَدُهما. فقال: إن صاحبي قد مات فادفعي إليَّ الدنانيرَ. فأَبَتْ، وقالت: إنَّكُما قلتما لي لا تدفعيها إلى واحدٍ مِنَّا دونَ صاحبِهِ، فلستُ بدافِعَتِها إليكَ، فَثَقَّل عليها بأهلِها وجيرانِها حتَّى دفعَتْها إليه، ثم لبِثَتْ حولًا آخَرَ، فجاءَ الآخرُ فقال: ادفعي إليَّ الدنايرَ.

فقالت: إن صاحبَك جاءَني فزعَمَ أَنَّكَ قد مِتَّ، فدفَعْتُها إليه.

فاحتكما إلى عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فأرادَ أن يقضيَ عليها.

فقالت: ادفَعْنا إلى عليِّ بن أبي طالبٍ، فعَرَفَ عليٌّ أنهما قد مكرا بها فقال: أليسَ

(١) «الطرق الحكمية» لابن القيم (٣٣ - ٣٤).

قد قلتما: لا تدفعيها إلى واحدٍ مِنَّا دونَ صاحبِهِ؟ قال: بلى.

قال: فإنَّ مالكَ عندها، فاذهب فجِيءْ بصاحِبِكَ حتَّى تدفَعَهُ إليكما»[١].

٣- كعبُ بنُ سورٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

قال ابنُ القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: فهذا عمرُ بنُ الخطابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَتَتْهُ امرأةٌ فشكرت زوجَها وقالت: «هو من خِيارِ أهلِ الدنيا، يقومُ الليلَ حتَّى الصباحِ، ويصومُ النهارَ حتى يُمْسيَ. ثم أدرَكها الحياءُ، فقال: «جزاكِ اللهُ خيرًا فقد أحسنْتِ إليه.

فلما وَلَّت قال كَعْبُ بنُ سورٍ: «يا أميرَ المؤمنين، لقد أبْلَغَتْ في الشَّكْوى إليكَ، فقال: وما شَكَتْ؟ قال: زوجَها. قال: عليَّ بهما.

فقال لِكَعْبٍ: اقْضِ بينهما. قال: أقضي وأنت شاهدٌ؟

قال: إنَّكَ قد فَطِنْتَ إلى ما لَمْ أفْطَنْ له.

قال: إن الله يقول: ﴿فَٱنكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ مَثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ﴾ [النساء: ٣].

صُمْ ثلاثةَ أيامٍ، وأفْطِرْ عندها يومًا، وقُمْ ثلاثَ ليالٍ، وبتْ عندها ليلةً، فقال عُمَرُ: هذا أعجبُ إليَّ من الأَوَّل». فبَعَثَهُ قاضيًا لأَهلِ البَصْرةِ.

فكان يَقَعُ له في الحكومَةِ من الفِراسةِ أمورٌ عجيبةٌ»[٢].

٤- إياسُ بنُ معاويةَ رَحِمَهُ اللَّهُ:

ومِمَّن اشْتُهِرَ بالفِراسةِ في التاريخِ الإسلاميِّ إياسٌ القاضي رَحِمَهُ اللَّهُ ولهُ قِصَصٌ عجيبَةٌ في الفِراسةِ فمن ذلك:

---

(١) «الطرق الحكمية» (٣٦).

(٢) «المرجع السابق» (٢٩).

- قِصَّةُ صاحبِ الأمانةِ:

قال المدائنيُّ عن رَوْحٍ: استودعَ رَجُلٌ رجلًا من أبناءِ النَّاس مالًا ثم رجع فطلبَهُ فَجَحَدَهُ، فأتى إياسًا فأخبرَهُ، فقال له إياسُ: انْصرفْ فاكتمْ أمْرَكَ، ولا تُعْلِمْهُ أنَّكَ أتيتَني. ثم عُدْ إلَيَّ بعدَ يومين. فدعا إياسُ المُودَعَ.

فقال: قد حضر مالٌ كثيرٌ، وأريدُ أن أُسَلِّمَهُ إليك، أفحصِينٌ منزِلُكَ؟

قال: نعمْ. قال: فأعِدَّ له موضعًا وحَمَّالِين.

وعاد الرجلُ إلى إياسَ، فقال: انْطَلِقْ إلى صاحبِك فاطلبِ المالَ فإن أعطاك فذاك، وإن جَحَدَك فقُلْ له: إني أُخْبِرُ القاضيَ.

فأتى الرجُلُ صاحبَهُ فقال: مالي، وإلا أتيتُ القاضيَ، وشكوتُ إليه، وأخبرْتُهُ بأمري، فدفَعَ إليه مالَهُ، فرجِعَ الرجلُ إلى إياسٍ.

فقال: قد أعطانِي المالَ، وجاءَ الأمينُ إلى إياسٍ لموعِدِهِ، فزجَرَهُ وانْتَهَرهُ، وقال: لا تَقْرَبْني يا خائِنُ»[1].

- قصةُ آخَرَ صاحِبِ أمانةٍ - أيضًا -:

استودع رَجُلٌ لغَيْرِهِ مالًا، فجَحَدَهُ، فَرَفَعَهُ إلى إياسَ، فسألَهُ فأنكَرَ، فقال للمدَّعي: أين دفعتَ إليه: فقال: في مكانِ في البَرِيَّةِ، فقال: وما كان هناك؟ قال: شجرةٌ، قال: اذهبْ إليها فلعلَّك دفَنْتَ المالَ عندها ونِسيتَ، فتَذْكُرَ إذا رأيت الشجرةَ؛ فمضى، وقال للخَصْمِ: اجلسْ حتى يَرْجِعَ صاحبُك.

(١) «الطرق الحكمية» (٣٧).

وإياسُ يقضي وينظُرُ إليه ساعةً بعد ساعةٍ. ثُمَّ قال: يا هذا، أترى صاحبَك قد بلغ مكانَ الشجرةِ؟ قال: لا.

قال: يا عدوَّ اللهِ، إنك خائنٌ.

قال: أقلْني. قال: لا أقالَكَ اللهُ.

وأمر أن يُحْتَفَظَ به حتى جاءَ الرَّجُلُ، فقال له إياسُ اذهبْ معهُ فَخُذْ حَقَّكَ[١].

٥- أبو جعفر المنصورُ رَحِمَهُ اللهُ:

إذا لبــد الليــث الغضــنفر فارتقــب ... لــه وثبــةً فراســة أكنــاب والظفــرِ[٢]

ومن دقيق الفِراسةِ: أن المنصورَ جاءهُ رجلٌ، فأخبرهُ أنَّه خرج في تجارةٍ فكَسِبَ مالًا، فدفَعَهُ إلى امرأتِهِ، ثم طلبهُ منها، فذكَرَتْ أنه سُرِقَ من البيتِ، ولم يَرَ نَقْبًا ولا أمارةً. فقال المنصورُ: منذ كم تزوجْتَها؟ قال: منذ سنةٍ.

قال: بكرًا أو ثَيِّبًا؟ قال: ثَيِّبًا.

قال: فلها ولدٌ من غيرِك؟ قال: لا.

قال: فدعا المنصورُ بقارورةِ طِيبٍ كان يتَّخِذُهُ حادِّ الرائحةِ، غريبِ النَّوعِ، فوضعها إليه، وقال: تطَيَّبْ من هذا الطيبِ فإنه يُذهِبُ غَمَّكَ.

فلما خرجَ الرجلُ من عنده قال المنصورُ لأربعةٍ من ثقاتِهِ: يَقْعُدُ على كلِّ بابٍ من أبوابِ المدينةِ واحدٌ منكم، فمَنْ شمَّ منكم رائحةَ هذا الطِّيبِ من أحدٍ فليأتِ به.

---

(١) «الطرق الحكمية» (٣١).

(٢) دواوين الشعر العربي (٧/ ٢٨٩).

وخرج الرجلُ بالطِّيبِ فدفعَهُ لامرأَتِهِ.

فلما شَمَّتْهُ بَعثَتْ به إلى رَجُلٍ كانت تُحِبُّهُ، وقد كانت دَفَعَت إليه المالَ. فتطَيَّبَ منه، ومَرَّ مجتازًا ببعضِ أبوابِ المدينةِ فَشَمَّ الموكَّلُ بالبابِ رائحتَهُ عليه، فأتى به المنصورُ، فَسَأَلَهُ: من أين لك هذه الطِّيبُ؟ فَلَجْلَجَ في كلامِهِ.

فبعثَ بِهِ إلى والي الشرطةِ. فقال: إن أحضر لك كذا وكذا من المالِ فَخَلِّ عنه وإلا اضربْهُ أَلفَ سَوْطٍ.

فلمَّا جَرُّوهُ للضَّرْب أحضر المالَ على هيئتِهِ. فدعا المنصورُ صاحبَ المالِ، فقال: إن ردَدْتُ إليك المالَ تحَكِّمْنِي في امرأتِكَ؟ قال: نعم.

قال: هذا مالُكَ. وقد طلَّقْتُ المرأةَ مِنْك[1].

٦- الخليفةُ العبَّاسيُّ المعتَضِدُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

ومن ذلك: ما يُذكَرُ عن المعتضِدِ باللهِ، أنه كان جالسًا يشاهِدُ الصُّنَّاعَ. فرأى فيهم أسودَ مُنْكَرَ الخِلْقَةِ، شديدَ المَرَح، يعملُ ضِعفَ ما يعملُ الصُّنَّاعُ، ويصعَدُ مِرقاتين مِرقاتين. فأنكَرَ أمرَهُ، فأحضرهُ وسألَهُ عن أمرِهِ؟ فَلَجْلَجَ، فقال: لبعضِ جلسائِهِ: أَيُّ شيءٍ يقعُ لكم في أمرِهِ؟ قالوا: ومَنْ هذا حتى تصرِفَ فِكْرَكَ إليه؟ لعلَّهُ لا عيالَ لَهُ، وهو خالي القلبِ.

فقال: قد خَمَّنْتُ في أمرِهِ تخمينًا، ما أحسَبُهُ باطلًا: إِمَّا أن يكون معهُ دنانيرُ، قد ظَفِرَ بها دفعةً، أو يكونُ لِصًّا يتستَّرُ بالعملِ.

فدعا به، واستدعى بالضرَّابِ فَضَرَبَهُ، وحلَفَ له أن لم يَصْدُقْهُ أن يَضرِبَ عُنُقَهُ.

---

(١) «الطرق الحكمية» (٤٦ - ٤٧).

فقال: لي الأمانُ. قال: نعم إلا فيما يجبُ عليك بالشرعِ. فظنَّ أنه قد أمَّنَهُ.

فقال: قد كنتُ أعملُ في الآجُرِ، فاجتازَ رجلٌ في وسطِهِ هِمْيانُ، فجاء إلى مكانٍ فجلسَ وهو لا يعلمُ مكاني فحَلَّ الهميانَ، وأخرج منه دنانيرَ فَتَأَمَّلْتُهُ، وإذا كُلُّهُ دنانيرُ فساوَرْتُهُ وكتَّفْتُهُ وشدَدْتُ فاهُ، وأخذْتُ الهميانَ، وحمَلْتُهُ على كتفي وطرحْتُهُ في الأُتُونِ وطيَّنْتُهُ، فلمَّا كان بعدَ ذلك أخرجْتُ عظامَهُ فطرحْتُها في دَجْلَةَ.

فأنفذَ المعتضِدُ من أحْضَرَ الدنانيرَ من منزِلِه، وإذا على الهميانِ مكتوبٌ: فلانُ بن فلانٍ، فنادى في البلدِ باسمِهِ. فجاءت امرأةٌ. فقالت: هذا زوجي. ولي منه هذا الطفلُ، خرج وقت كذا وكذا ومعهُ ألفُ دينارٍ فغاب إلى الآنَ. فسلَّمَ الدنانيرَ إلى امْرأتِهِ. وأمرَها أن تَعْتَدَّ، وأمر بضَرْبِ عنقِ الأسودِ، وحَمْلِ جثَّتِهِ إلى ذلك الأُتُونِ[1].

عجيبةٌ للمعتَضِدِ

كان للمعتضِدِ من ذلك عجائِبُ منها: أنَّهُ قام ليلةً. فإذا غلامٌ قد وَثَبَ على ظهرِ غلامٍ، فانْدَسَّ بين الغلمانِ فلم يعرفْهُ. فجاء فجَعَلَ يضَعُ يَدَهُ على فؤادِ واحدٍ بعد واحدٍ، فيجدُهُ ساكنًا، حتَّى وضعَ يَدَهُ على فؤادِ ذلك الغلامِ، فإذا به يَخْفُقُ خفْقًا شديدًا. فركَضَهُ برِجْلِهِ، واستقَرَّهُ، فأَقرَّ فَقَتَلَهُ[2].

قصَّةُ المعتضِدِ مع الهاشميِّ:

ومنها: إنه رُفِعَ إليه صيَّادٌ ألقى شبكتَهُ في دَجْلَةَ، فوقعَ فيها جِرابٌ فيه كَفٌّ مخضوبةٌ بحنَّاءَ، فأُحْضِرَ بين يديه، فهالَهُ ذلك، وأمر الصيَّادَ أن يعاوِدَ طَرْحَ الشبكةِ

(١) «المرجع السابق» (٤٧ - ٤٨).

(٢) «المرجع السابق» (٤٨).

هنالك ففَعَلَ، فأخرجَ جرابًا آخَرَ فيه رِجْلٌ فاغتَمَّ المعتضِدُ وقال: معي في البلدِ من يفعلُ هذا ولا أعرفُهُ؟ ثم أحفر ثِقَةً له وأعطاهُ الجِرابَ، وقال: طُفْ به على كُلِّ من يعملُ الجُروبَ ببَغْدادَ، فإن عرفَهُ أحدٌ منهم فاسألْهُ عمَّن باعَهُ منه. فإذا دَلَّكَ عليه فاسأل المشتري عن ذلك ونقِّر عن خبرِهِ.

فغاب الرجلُ ثلاثةَ أيامٍ، ثم عادَ، فقال: ما زلتُ أسألُ عن خَبَرِهِ حتى انتهى إلى فلانٍ الهاشميِّ، اشتراه مع عَشَرَةِ جُرُوبٍ، وشكا البائعُ شرَّهُ وفسادَهُ، ومن جُمْلَةِ ما قال: إنه كان يعشَقُ فلانةً المغنِّيَةَ وأنه غَيَّبَها، فلا يُعْرَفُ لها خَبَرٌ، وادَّعى أنها هربتْ والجيرانُ يقولون: قَتَلَها. فبعث المعتضدُ من كبس منزلَ الهاشميِّ وأحضرَهُ، وأحضر اليَدَ والرجلَ وأراه إياهما.

فلما رآهما انتقع لونُهُ، وأيقنَ بالهلاكِ واعترفَ. فأمر المعتضِدُ بدفعِ ثمنِ الجاريةِ إلى مولاها، وحَبَسَ الهاشميَّ حتَّى مات في الحَبْسِ»[1].

٧- **أحمدُ بنُ طولون** رَحِمَهُ اللَّهُ:

ومن عجيبِ الفِراسةِ ما ذُكِرَ عن أحمدَ بن طولونَ أنه بينما هو في مجلسٍ لهُ يَتَنَزَّهُ فيه إذ رأى سائلًا في ثوبٍ خَلِقٍ. فوضعَ دجاجةً على رغيفٍ وحلوى وأمرَ بعضَ الغلمان فدفعَهُ إليهِ.

فلما وقع في يدِهِ لم يَهِشَّ، ولم يَعْبَأْ به. فقال للغلامِ: جئني به. فلمَّا وقف قُدَّامَهُ استنطَقَهُ، فَأَحسن الجوابَ، ولم يضطرِبْ من هيبتِهِ. فقال: هاتِ الكُتُبَ التي معك، واصدُقْني من بعثَكَ؛ فقد صَحَّ عندي أنك صاحبُ خبرٍ، وأحضر السياطَ، فاعترفَ.

---

(١) «المرجع السابق» (٤٨ - ٤٩).

فقال بعضُ جلسائِهِ: هذا - والله - السِّحْرُ. قال: ما هو بسِحْرٍ، ولكن فِراسةٌ صادقةٌ. رأيتُ سُوءَ حالِهِ، ووجَّهْتُ له بطعامٍ يَشْرَهُ لأكلِهِ الشَّبْعانُ، فما هَشَّ لهُ، ولا مَدَّ يَدَهُ إليه. فأَحضَرْتُهُ فتلقَّاني بقوَّةِ جأشٍ فلما رأيتُ رثاثة حالِهِ، وقوَّةَ جأشِهِ، علمتُ أنه صاحبُ خبرٍ فكان كذلك[1].

عجيبة لابنِ طولونَ:

رأى ابن طولونَ يومًا حمَّالًا يحملُ صِنًّا[2] وهو يضْطَرِبُ تحتَهُ. فقال: لو كان هذا الاضطرابُ من ثِقَلِ المحمولِ لغاصَتْ عُنُقُ الحمَّالِ، وأنا أرى عُنُقَهُ بارزةً، وما أرى هذا الأمرَ إلا مِنْ خوفٍ، فأمر بحَطِّ الصَّنِّ فإذا فيه جاريةٌ مقتولةٌ. وقد قُطِّعَتْ. فقال: اصدقني عن حالِها. فقال: أربعةُ نَفَرٍ في الدارِ الفلانيةِ أعطوني هذه الدنانيرَ، وأمروني بحَمْلِ هذه المقتولةِ. فضربَهُ وقتلَ الأربعةَ.

قال ابنُ القَيِّم رَحِمَهُ اللَّهُ: وكان يتنكَّرُ ويطوفُ بالبلدِ يسمعُ قراءةَ الأئمةِ. فدعا ثِقَتَهُ، وقال: خُذْ هذه الدنانيرَ، وأعطِها إمام مسجدِ كذا، فإنه فقيرٌ مشغولُ القلبِ، ففعل، وجلس معهُ وباسطَهُ، فوجدَ زوجتَهُ قد ضربَها الطَّلْقُ، وليس معه ما يحتاجُ إليه. فقال: صدقَ عرفَ شُغْلَ قلبه في كَثْرَةِ غلطِهِ في القراءَةِ[3].

٨- بعضُ أصحابِ الشرطَةِ:

قال ابنُ القيِّمِ رَحِمَهُ اللَّهُ: إن اللصوصَ أخذوا في زَمَنِ المُكْتَفِي باللهِ مالًا عظيمًا، فأكرمَ

---

(١) «المرجع السابق» (٥١).

(٢) الصن: وعاء شبه السلة المطبقة.

(٣) «الطرق الحكمية» (٥١ - ٥٢).

المكتفي صاحبَ الشرطةِ بإخراجِ اللصوصِ، أو غرامةِ المالِ فكان يركبُ وحدَهُ ويطوفُ ليلًا نهارًا إلى أن اجتازَ يومًا في زقاقٍ خالٍ في بعضِ أطرافِ البلدِ، فدخلهُ، فوجَدَهُ مُنكَرًا، ووجَدَهُ لا يَنْفُذُ فرأى على بعضِ أبوابِهِ شوكَ سمكٍ كثيرٍ، وعظامَ الصُّلْبِ.

فقال لشخصٍ: كم يقوم تقديرُ ثَمَنِ هذا السَّمَكِ الذي هذا عظامُهُ؟

قال: دينارٌ. قال: أهلُ الزقاقِ لا تَحْتَمِلُ أحوالُهم مُشْتَرَى مِثْلَ هذا لأنه زقاقٌ بين الاختلالِ إلى جانبِ الصحراءِ، لا ينزلُ من معهُ شيءٌ يخافُ عليه، أولهُ مالٌ يُنْفِقُ منه هذه النَّفَقةَ، وما هي إلا بليةٌ، ينبغي أن يُكْشَفَ عنها. فاستبعدَ الرَّجُلُ هذا وقال: هذا فِكْرٌ بعيدٌ.

فقال: اطلبوا لي امرأةً من الدَّرْبِ أكَلِّمْهَا. فدقَّ بابًا غيرَ الذي عليه الشَّوكَ، واستسقى ماءً، فخرجَتْ عجوزٌ ضعيفةٌ، فما زالَ يطلبُ شربةً بعد شربةٍ، وهي تسقيهِ، وهو في خلالِ ذلك يسألُ عن الدَّرب وأهله، وهي تخبرُهُ غير عارفةٍ بعواقِبِ ذلك. إلى أن قال لها: وهذه الدارُ مَن يسكنُها؟ وأومأَ إلى التي عليها عظامُ السَّمَكِ. قالت: فيها خمسةُ شبانَ أعفارَ[1]، كأنهم تجارٌ. وقد نزلوا منذ شَهْرٍ لا نراهم نهارًا إلا في كل مُدَّةٍ طويلةٍ ونرى الواحدَ منهم يخرجُ في الحاجةِ ثم يعودُ سريعًا. وهم في طوال النهارِ يجتمعون فيأكلون ويشربون، ويلعبون بالشطرنجِ والنردِ. ولهم صبيٌّ يخدمُهم. فإذا كان الليلُ انصرفوا إلى دارٍ لهم بالكَرْخِ، ويَدَعُون الصبيَّ في الدار يحفظُها، فإذا كان سحرًا جاءوا ونحن نيامٌ لا نشعرُ بهم. فقال للرجُلِ: هذه صفةُ لصوصٍ أم لا. قال: بلى.

فأنْفَذَ في الحالِ فاستدعى عَشرَةً من الشُّرَطِ وأدخلهم إلى أسطحةِ الجيران، ودقَّ هو البابَ. فجاء الصبيُّ ففتَحَ. فدخل الشُّرَطُ معهُ فما فاته من القومِ أحدٌ. فكانوا هم أصحابَ الجنايةِ بعينِهم.

---

(١) «الطرق الحكمية» (٦٥).

ومن ذلك: أن بعضَ الولاةِ سمعَ في بعضِ ليالي الشتاءِ صوتًا بدارٍ يطلبُ ماءً باردًا. فأمر بكبسِ الدارِ، فأخرجوا رجُلًا وامرأةً، فقيلَ له من أين علمتَ؟

قال: الماءُ لا يُبَرَّدُ في الشتاءِ، إنما ذلك علامةٌ بين هذين[1].

وأحضر بعضُ الولاةِ شخصين متَّهمين بسرقةٍ. فأَمر أن يؤتى بكوزٍ من ماءٍ، فأخذه بيدِهِ فألقاهُ عمدًا فانكسرَ، فارتاعَ أحدهُما، وثبتَ الآخرُ فلم يتغيَّرْ، فقال للذي انزعَجَ: اذهبْ. وقال للآخرِ: أحضِرِ العملَةَ. فقيل له: من أين عرفْتَ؟ فقال: اللِّصُّ قويُّ القلبِ لا يَنْزَعِجُ. والبريءُ يرى أنه لو نزلَتْ في البيتِ فأرةٌ لأَزعجَتْهُ، ومنعَتْهُ من السَّرِقَةِ[2].

٩- الشيخُ صالحُ بنُ عثمانَ رَحِمَهُ اللَّهُ:

ومن هذا القبيلِ ما حدثَ في عهدٍ قريبٍ مع الشيخ صالحِ بنِ عثمانَ قاضي عُنَيْزَةَ - هو شيخُ عبدِ الرحمنِ السعديِّ - رحمهما الله - كان قاضيًا صاحبَ وَرَعٍ وتقوى وخِبْرَةٍ وفِراسةٍ جاءهُ مرَّةً رجُلٌ يعرفُهُ أنه من أهلِ الصَّلاحِ يعملُ جزارًا وآخرُ بدويٌّ، يقولُ المدَّعي: جاءني هذا البدويُّ وباعَ عليَّ غَنَمهُ، فأعطيتُهُ الدراهمَ حولَ المغربِ، ثم جاءني في ثاني يومٍ في النهارِ يقول: أعطني ثمنَ الغنمِ، فقلتُ: أعطيتُك إياها البارحَةَ، فقال: ما أعطيتني شيئًا، فذهب إلى الشيخ، وكان يَحْمسُ قهوتَهُ - ماء يفورُ على النارِ ويَغْلقُ لأجلِ القهوةِ - قال: يا بدويُّ! في جيبِك دراهِمُ، قال: نعم. قال: أعطني إياها.

فسكبَ الماءَ في الإناءِ ثم طرحَ الدراهِمَ التي مع البدويِّ في الإناءِ فطفا الدُّهْنُ على سطحِها.

فقال: يا كذابُ! هذه دراهمُ جزارٍ إذًا هو أعطاك ثَمَنَها!

---

(١) أي علامةُ خيانة أنها جعلا هذا النداء علامةً بينهما، فإذا نادى أحدُهما الآخَرَ فيكونُ بطلبِ الماءِ الباردِ وعَلِمَ الوالي أن الماءَ لا يُبَرَّدُ في الشتاءِ فهو باردٌ بذاتِهِ وهذا من دقيقِ الفِراسةِ.

(٢) «الطرق الحكمية» (٥٢ - ٥٣).

١٠- أحدُ قضاةِ عصرِنا:

يقولُ أحدُ الإخوةِ: تشرَّفْتُ بالعملِ سنينَ عددًا عند قاضٍ فاضلٍ عالمٍ عاملٍ وفي أحدِ الأيامِ المعتادةِ في المحكمةِ شرعتُ في ضبطِ لائحةِ الدعوى العامةِ في الضبطِ، وكان خلاصتُها اتهامَ شابٍّ وفتاةٍ بجريمةِ الزِّنا. وعند مناداةِ الخصومِ دخل الشابُّ أولًا وأقَرَّ بوجودِ علاقةٍ هاتفيةٍ تطوَّرَتْ إلى لقاءٍ لكنه أقسمَ أشدَ الإيمانِ وأغلَظَها أن الأمرَ لم يصِلْ إلى حدِّ الزنا دخلت بعدهُ المرأةُ وأقرَّتْ بجريمةِ الزنا بالتفصِيل!

كانت أعينُ شيخنا كعادتِهِ تَتَفرَّسُ في الخصومِ لحظاتِهم وسكناتِهِم ثم ختمَ الشيخُ المرافعةَ ورُفِعَتِ الجلسةُ للدراسةِ.

رأيتُ الشيخَ ينادي العسكريَّ فهمسَ في أذنِهِ بعدَها نادى الأبَ وقال له سأرسِلُ خطابًا للمستشفى للكشفِ على ابنتِكَ فاذهبْ بها، بعدها سألني عن رأيي.

قلتُ له: أما المرأةُ فقد اعترفَتْ وأما الشاب فقد أنكرَ فلم يبقَ إلا النظرُ في الأدلةِ المقامةِ ضدَّهُ من المدعي العامِّ.

قال لي: يغلِبُ على الظَّنِّ أن جريمةَ الزنا لم تَحْدُثْ!

قلتُ له: لماذا تعترفُ المرأةُ بشيءٍ لم ترتكبْهُ وتُمَرِّغُ عِرضَها وعِرْضَ أهلِها بالأرضِ؟!

قال تصرفاتُها ناشئٌ بأنها تعشَقُ هذا الفتى بجنونٍ، والجنونُ فنونٌ[1].

---

(١) هذا صحيحٌ فقد قال ابنُ القيمِ رَحِمَهُ اللَّهُ في كتابه «روضةُ المحبِّين» (١٨٤): «الجنونُ فنونٌ والعِشْقُ فنٌّ من فنونِهِ».

بعد مدةٍ عادَ الخطابُ من المستشفى وكان مضمونُهُ الاسْتفْسَارَ عن بكارةِ الفتاةِ فيه: أن الفتاةَ لم تُفَضَّ بكارتُها!

وصدقت فِراسةُ الشيخِ فلم يكن اعترافُ المرأةِ سوى وسيلةِ ضغطٍ أرادت الفتاةُ استعمالَها لتُجْبِرَ الفتى على الزواجِ بها!

سألتُ شيخنا فيما بعد كيفَ عرفَ ذلك؟

قال: عندما خرجَتْ الفتاةُ من مجلسِ الحكمِ لحقتْ بالفتى خارجَ المحكمةِ ترجوه أن يتزوَّجَها وهو يهربُ منها فإذا أضفْنا لذلك أسلوبَها في الكلامِ ونظراتِها أثناءَ الجلسةِ للفتى فقد استنتجتُ أنها ترغبُ به وهو راغبٌ عنها فلربَّما تكونُ كاذبةً في إقرارِها لتُلزِمَهُ على الزواجِ بها فلذلك كتبتُ الخطابَ حتَّى أتأكَّدَ.

حينها عرفتُ فائدةَ الفِراسةِ التي يُحكى أن الإمامَ الشافعيَّ رَحَلَ إلى اليمنِ لطلَبِها!

القضاءُ فَهْمٌ:

قال ابنُ القيمِ رَحِمَهُ اللهُ: قال رَجُلٌ لإياسَ بن معاويةَ: علمني القضاءَ. فقال: إن القضاءَ لا يُعَلَّمُ إنما القضاءُ فَهْمٌ. ولكن قُلْ علمني العلمَ.

وهذا سِرُّ المسألةِ. فإن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يقولُ: ﴿وَدَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِى ٱلْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ ٱلْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَٰهِدِينَ ﴿٧٨﴾ فَفَهَّمْنَٰهَا سُلَيْمَٰنَ ۚ وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا﴾ [الأنبياء: ٧٨، ٧٩].

فَخَصَّ سليمانَ بفَهْمِ القضيَّةِ، وعمَّهما بالعلم. وكذلك كتبَ عُمَرُ إلى قاضيهِ أبي

موسى في كتابِهِ المشهورِ: «الفَهْمَ الفَهْمَ فيما أُدْلِيَ إليكَ»[١].

والذي اختُصَّ به إياسُ وشُرَيْحُ مع مشاركتِهما لأهلِ عصرِهما في العلمِ هو: الفَهْمُ في الواقعِ، والاستدلالُ بالأماراتِ وشواهدِ الحالِ وهذا الذي فاتَ كثيرًا من الحكامِ، فأضاعوا كثيرًا من الحقوقِ»[٢].

(١) أخرجهُ البيهقيُّ في «السننِ الكبرى» (٢٠٣٢٤) وصححهُ الألبانيُّ في «الإرواء» (٢٦١٩). فانظر إنْ رُمْتَ فائدةً.

(٢) «الطرق الحكمية» (٤٠).

صورٌ من المُتَفَرِّسين

١- النبيُّ ﷺ:

عليمٌ بأسرار الزَّمان فراسةً ... كأنَّ له عينًا تريه بها الْعُقْبى[١]

كان رسولُ الله ﷺ في مقدَّمَةِ المتفرِّسين والأمثلة جمة ويكفي ذكر مثلين عَلى ذلك:

فعن عمرِو بن عَبْسَةَ السُّلميِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: كَانَ رسول الله ﷺ يعرِضُ الخَيْلَ وعنده عُيَيْنَةُ بنُ بدرٍ الفزاريُّ فقال له رسولُ اللهِ ﷺ: «**أنا أعلمُ بالخيلِ منك**» فقال عُيينَةُ: وأَنَا أعلمُ بالرجالِ مِنك. فقال رسولُ اللهِ ﷺ: «**فمَنْ خيرُ الرجالِ؟**». قال: رجالٌ يحملون سيوفَهم على عواتِقِهم ورماحَهُمْ على مناسِجِ خيولِهم من رجالِ نَجْدٍ، فقال رسولُ الله ﷺ: «**كذَبْتَ، بلْ خيرُ الرجالِ رجالُ اليَمَنِ، والإيمانُ يمانٍ إلى لخمٍ وجُذامَ، ومأكولُ حِمْيَرَ خيرٌ من أكلِها، وحضرموتُ خيرٌ من بني الحارثِ، والله ما أبالي لو هَلَكَ الحارثان جميعًا، لعنَ اللهُ الملوكَ الأربعةَ، جَمَدًا، ومَخُوسًا، وأبضَعةَ، وأختَهم العَمَرَّدةَ**»، ثم قال: «**أمرني ربي أن ألعنَ قريشًا مرتين فلعَنْتُهم، وأمرني أن أصلي عليهم فصليتُ عليهم مرَّتينِ**». ثم قال: «**لعنَ اللهُ تميمَ بنَ مُرَّةَ خمسًا وبكر بْنَ وائلَ سبعًا ولعنَ اللهُ قبيلتين من بني تميمَ: مقاعسَ وملادسَ**»، ثم قال: «**عُصيةٌ عصت اللهَ ورسولَهُ**»، ثم قال: «**أسلَمُ وغِفارُ ومُزَينَةُ وأحلافُهم من جهينةَ خيرٌ من بني أسدٍ وتميمَ وغطفانَ وهوزانَ عند اللهِ يومَ القيامةِ**»، ثم قال: «**شرُّ قبيلتين في العربِ نجرانُ وبنو تغلِبَ، وأكثرُ القبائلِ في الجنةِ مَذْحَجُ**»[٢].

---

(١) دواوين الشعر العربي (٧/ ٢٢٠).

(٢) (صحيح) أخرجه أحمد في المسند (١٩٤٥)، (١٩٤٦) وصححه الألباني في «الصحيحة» (٢٦٠٦)، (٣١٢٧).

٢- صورٌ من تفرُّسِ النبيِّ ﷺ في أصحابِهِ:

عن أبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: واللهِ الذي لا إلهَ إلا هو إن كنتُ لأعتَمِدُ بكبدي على الأرضِ من الجُوعِ، وإن كنتُ لأشدُّ الحَجَرَ على بطني من الجوعِ، ولقد قعدْتُ يومًا على طريقهم الذي يخرجون منه، فمرَّ أبو بكرٍ، فسألتُهُ عن آيةٍ من كتابِ اللهِ، ما سألْتُهُ إلا لِيُشْبِعَني، فمرَّ ولم يفعلْ، ثم مرَّ عُمَرُ، فسألتُهُ عن آيةٍ في كتابِ اللهِ، ما سألتُهُ إلا ليُشبِعَني، فمرَّ ولم يفعلْ، ثم مرَّ رسولُ اللهِ ﷺ فتَبَسَّم حين رآني وعرفَ ما في نفسي وما في وَجهي»[1] ففي القصَّةِ فوائدُ جَمةٌ لعلَّ أهمَّها صدقُ فِراسةِ النبيِّ ﷺ، وذكاؤهُ فيما يراهُ في وجوهِ أصحابِهِ، وتعهُّدُهُ إِياهم دلَّ على ذلك قولُ أبي هريرةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: فتبسَّمَ حين رآني وعرفَ ما بي.

(١) «رواه البخاري» (٢٥٧٦)، و«مسلم» (١٠٧٧).

المُتَفَرِّسُون

وفيما يأتي ذكرُ شيءٍ من فِراسةِ بعضِ الصحابةِ رضوانُ اللهِ عليهم أجمعين، فمِن ذلك:

٢- أبو بكر الصديقُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

١- الصِّدِّيقُ أعظمُ الأمَّةِ فِراسةً بعد نبيِّها ﷺ.

أبو بكرِ الصديقُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ خيرُ هذه الأمةِ بعد نبيِّها وهو - أيضًا - أعظمُ الأمةِ فِراسةً وبعدهُ عُمَرُ بنُ الخطابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كما قال ابنُ القيمِ رَحِمَهُ اللَّهُ[(١)]. فمن فراسته ما يأتي:

١- تَفَرُّسُ الصِّديقِ في رسولِ اللهِ ﷺ:

فعن أبي سعيدٍ الخدريِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: خَطبَ رسولُ الله ﷺ الناسَ فقال: «**إنَّ عبدًا خيَّرَهُ اللهُ بين أن يؤتِيَهُ من زهرَةِ الدُّنيا ما شاءَ وبين ما عنده فاختار ما عنده**». فبكى أبو بكرٍ وقال: فديناك بآبائِنا وأمهاتنا فعجِبْنا له وقال الناسُ انظروا إلى هذا الشيخِ، يُخْبِرُ رسولُ اللهِ ﷺ عن عبدٍ خيَّرَهُ اللهُ بين أن يؤتِيَهُ من زهرةِ الدنيا وبين ما عنده وهو يقولُ فديناك بآبائِنا وأُمهاتِنا فكان رسولُ اللهِ ﷺ هو المخيَّرَ وكان أبو بكر هو أعلمَنا به[(٢)].

٢- فِراسةُ الصِّدِّيقِ في عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا:

وعن ابنِ مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «أفرسُ الناسِ ثلاثَةٌ: العزيزُ في يوسُفَ حين قال لامرأتِهِ: ﴿أَكْرِمِي مَثْوَىٰهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًا﴾ [يوسف: ٢١]، وابنةُ شعيبٍ حين قالت: ﴿يَٰٓأَبَتِ ٱسْتَـْٔجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْأَمِينُ ﴿٢٦﴾﴾ [القصص: ٢٦]. وأبو بكرٍ في

---

(١) «مدارج السالكين» (٣/ ٣٦٣).

(٢) «رواه البخاري» (٣٩٠٤)، و«مسلم» (٢٣٨٢)، و«الترمذي» (٣٣٦٠).

عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا حين استخلَفَهُ على المسلمين»[١].

وفيتُ بما ظنَّ الكرامُ فِراسةً ... بأمري ومثلي بالوفاءِ جديرُ

٣- فِراسةُ الصديقِ أنه سيُرْزَقُ بنتًا:

ومن فراستِهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قولُهُ لعائشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا لما حَضَرَتْهُ الوفاةُ يُوصيها: «إنما هما أخواك وأختاك»[٢].

قالت: فقلتُ: فإنما هي أمُّ عبدِ اللهِ - تعني: أسماءَ؛ يعني أخواي عرفتُهما، وأختاي ما لي إلا أختٌ واحدةٌ أسماءُ فمَنْ الأختُ الأخرى؟

فقال: إنه ألقيَ في نفسي أنَّ في بَطْنِ بنتِ خارجةَ جاريةً (وبنتُ خارجةَ: هي زوجةُ أبي بكرٍ الصِّدِّيقِ) وهكذا حصلَ وصار لعائشةَ أختٌ أخرى.

٣- عمرُ بنُ الخطابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

يَبينُ لهُ الطرفُ الخَفيُّ فِراسَةً ... ويعنو لهُ الطرفُ العصي تفرسا[٣]

١- عمرُ المحدَّثُ المُلْهَمُ.

كان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مُلْهَمًا ومُحدَّثًا يجري الحقُّ على لسانِهِ مصداقًا لما أخبرَ به ﷺ فعن أبي هريرةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «**لقد كان فيما قبلَكم من الأممِ ناسٌ مُحَدَّثون، فإن**

(١) رواه الحاكم في «المستدرك» (٢/ ٣٧٦) برقم (٣٣٢) ووافق الذهبي في «صحته» وابن أبي شيبة في «مصنفه» (٧/ ٤٣٥) برقم (٣٧٥٨)، والطبراني في الكبير (٨٨٢٩).

(٢) قالَهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لابنتِهِ عائشةَ لما أبْطَلَ نِحْلَتَهُ لها عشرين وَسَقًا أخرجَهُ مالكٌ في «الموطَّأ» (٢/ ٤٨٣ - ٤٨٤).
وإسنادُهُ (صحيحٌ) انظر «الاستذكار» (٢٢/ ٢٩٣ - ٢٩٥).

(٣) دواوين الشعر العربي (٥/ ٤٧٠).

يَكُ في أُمَّتي أحدٌ فإنه عُمَرُ» وفي روايةٍ عنهُ: «**لقد كان فيمَنْ كان قبلكم من بني إسرائيلَ رجالٌ يُكَلَّمون من غيرِ أن يكونوا أنبياءَ، فإن يكنْ في أمتي منهم أَحَدٌ فعُمَرُ**»(١).

وأخرجَ الترمذيُّ في «جامِعِهِ»(٢) عن ابنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أن رسولَ اللهِ ﷺ قال: «**إنَّ اللهَ جعلَ الحَقَّ على لسانِ عُمَرَ وقلبِهِ**».

٢- عُمَر أعظمُ الأمَّةِ فِراسةً بعد الصديقِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا:

قال ابنُ القيمِ رَحِمَهُ اللَّهُ: «وكان الصديقُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أعظمَ هذه الأمةِ فِراسةً وبعده عمرُ بنُ الخطابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ووقائعُ فِراستِهِ مشهورةٌ؛ فإنه ما قالَ لشيءٍ «أظنُّهُ كذا» إلا كان كما قال، ويكفي في فِراستِهِ موافقتُهُ رَبَّهُ في المواضِعِ المعروفَةِ»(٣).

٣- موافقةُ القرآنِ لعُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في بعضِ المواضعِ:

قال ابنُ عمرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ما نزلَ بالناسِ أمرٌ قَطُّ، فقالوا فيه، وقال فيه عُمَرُ أَوْ قالَ ابنُ الخطابِ فيه - شَكَّ خارِجَةُ - إلا نَزَلَ فيه القرآنُ على نحوِ قول عُمَرَ»(٤).

قال ابنُ القيمِ رَحِمَهُ اللَّهُ... فمن ذلك أنَّهُ قال: «يا رسولَ اللهِ لو اتخذْتَ من مقامِ إبراهيمَ مُصَلًّى فنزلَتْ ﴿وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبۡرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى﴾ [البقرة: ١٢٥].

وقال يا رسولَ اللهِ لو أمرْتَ نساءَكَ أن يحتجِبْنَ فنزلت آيةُ الحجابِ، واجتمع

---

(١) «رواه البخاري» (٣٦٨٩).

(٢) رواه الترمذي (٣٥٨٣)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (١٧٣٦).

(٣) «مدارج السالكين» (٣/ ٣٦٣).

(٤) (صحيح) رواه الترمذي (٢٨٠) وصححه الألباني في «صحيح الترمذي» (٢٠٤).

نساءُ النبيِّ ﷺ في الغَيْرةِ عليه فقال لهنَّ عُمَرُ: «عسى ربُّهُ أن طلقكن أن يُبْدِلَهُ أزواجًا خيرًا منكُنَّ فنزلتْ كذلك.

وشاورَهُ رسولُ الله ﷺ في أسارى بدرٍ فأشارَ بقتلهِم ونزلَ القرآنُ بموافقتِهِ»(١).

٣- عمرُ من أفرسِ الناسِ بالرجالِ:

كان رضي الله عنه إذا حدَّثَهُ الرجُلُ بالحديثِ فيكذبُ فيه الكلمةَ والكلمتين، فيقولُ عُمَرُ: «احبسْ هذهِ؛ احبسْ هذهِ، فيقولُ الرجلُ: واللهِ كُلُّ ما حدثْتُك به حَقٌّ غيرَ ما أمرتني بحبْسِهِ»(٢).

وعن ابنِ عُمَرَ رضي الله عنهما قال: بينما عُمَرُ رضي الله عنه جالسٌ إذْ رأى رجلًا فقال: قد كنتُ مَرَّةً ذا فِراسَةٍ وليس لي رَأيٌ إن لم يكنْ هذا الرجُلُ ينظرُ ويقولُ في الكهانةِ شيئًا، ادعوه لي فدعَوهُ فقال: هل كنتَ تنظرُ في الكهانةِ شيئًا؟! قال: نعم»(٣) وروى الطبريُّ أنَّ عُمَرَ رضي الله عنه لما استعرضَ الجيوشَ للجهادِ سنةَ ١٤ مرَّتْ أمامَهُ قبائلُ السكون اليمنيةُ مع أوَّلِ كِندَةَ يتقدمُهم حصينُ بنُ نُميرٍ السكوني ومعاويةُ بن حديجٍ أحدُ الصحابةِ الذين فتحوا مِصْرَ ثم كان أحدَ ولاتِها، فاعترضَهم عُمَرُ فإذا فيهم فتيةٌ دلم سباط(٤)، فأَعرضَ عنهم ثم أعرضَ ثم أعرضَ، حتى قيل لهُ مالكَ ولهؤلاءِ؟

قال: إني عنهم لمتردِّدٌ، وما مرَّ بي قومٌ من العربِ أكرهُ إليَّ منهم.

فكان منهم سودانُ بنُ حمرانَ وخالدُ بنُ مَلجمٍ وكلاهُما من البُغَاةِ على عثمانَ»(٥).

---

(١) «الطرق الحكيمة» (٣٥).

(٢) «البداية والنهاية» (٧/ ١٣٨).

(٣) «الأذكياء» لابن الجوزي (١٠)، و«الطرق الحكمية» (٤١).

(٤) **دلم**: هو الأسود وسباط حسن القد والاستواء.

(٥) «الطبري» (٤/ ٤٦)، «والعواصم» لابن العربي (١٤١).

٤- سَعْدُ بنُ أبي وقَّاصٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

وفراسةُ سعدِ بنَ أبي وقَّاصٍ رضيَ اللهُ تعالى عنه عَصَمَتْهُ من الفِتَنِ، عَنْ عَامِرِ بْنِ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «كَانَ سَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي إِبِلٍ لَهُ خَارِجًا مِنَ الْمَدِينَةِ»، «فَجَاءَهُ ابْنُهُ عُمَرُ، فَلَمَّا رَآهُ سَعْدٌ قَالَ: أَعُوذُ بِاللهِ مِنْ شَرِّ هَذَا الرَّاكِبِ» - توسَّمَ فيه وتفرَّسَ أنه أقبل بِشَرٍّ وفتنةٍ وهو ابنُهُ - «فَنَزَلَ فَقَالَ لَهُ» - ابنُهُ عمرُ -: «يَا أَبَتِ! أَرَضِيتَ أَنْ تَكُونَ أَعْرَابِيًّا» - بدويًّا في البادية - «فِي إِبِلِكَ وَغَنَمِكَ؟» «وَالنَّاسُ يَتَنَازَعُونَ فِي الْمُلْكِ بِالْمَدِينَةِ؟!» - يغري بأبيه بأَنْ يحمِلَ سيفَهُ ويغوصَ في الفِتنِ التي جَرَتْ بين المسلمين -، «فَضَرَبَ سَعْدٌ صَدْرَ» - ابنِه - «عُمَرَ، وَقَالَ: اسْكُتْ! إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْعَبْدَ التَّقِيَّ الْغَنِيَّ الْخَفِيَّ**»»[(١)].

وذَكَرَ ابنُ جريرٍ؛ أنَّ عُمَرَ بنَ سعدٍ خرج إلى أبيه وهو على ماءٍ لبني سليم بالباديةِ معتزلٌ، فَقَالَ: «يَا أَبَهْ؛ قَدْ بَلَغَكَ مَا كَانَ مِنَ النَّاسِ بِصِفِّينَ، وَقَدْ حَكَّمَ النَّاسُ أَبَا مُوسَى الْأَشْعَرِيَّ، وَعَمْرَو بْنَ الْعَاصِ، وَقَدْ شَهِدَهُمْ نَفَرٌ مِنْ قُرَيْشٍ، فَاشْهَدْهُمْ، فَإِنَّكَ صَاحِبُ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَأَحَدُ أَصْحَابِ الشورى، ولم تدخلْ في شيءٍ كَرِهَتْهُ هَذِهِ الْأُمَّةُ، فَاحْضُرْ، إِنَّكَ أَحَقُّ النَّاسِ بِالْخِلَافَةِ».

فَقَالَ: «لَا أَفْعَلُ! إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**إِنَّهُ ستكونُ فتنٌ، خيرُ الناسِ فيها الخفيُّ التقيُّ**»، وَاللهِ لَا أَشْهَدُ شَيْئًا مِنْ هَذَا الْأَمْرِ أَبَدًا).

وَالظَّاهِرُ أَنَّ عُمَرَ بْنَ سَعْدٍ اسْتَعَانَ بِأَخِيهِ عَامِرٍ عَلَى أَبِيهِ؛ لِيُشِيرَ عَلَيْهِ أَنْ يَحْضُرَ أَمْرَ التَّحْكِيمِ، لَعَلَّهُمْ يَعْدِلُونَ عَنْ معاويةَ وعليٍّ وَيُوَلُّونَهُ، فَامْتَنَعَ سَعْدٌ مِنْ ذَلِكَ، وَأَبَاهُ أَشَدَّ

(١) رواه مسلم (٢٩٦٥).

الْإِبَاءِ، وَقَنِعَ بِمَا هُوَ فِيهِ مِنَ الْكِفَايَةِ وَالْخَفَاءِ، كَمَا ثَبَتَ فِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قال: «**قَدْ أَفْلَحَ مَنْ أَسْلَمَ وَرُزِقَ كَفَافًا وَقَنَّعَهُ اللهُ بِمَا آتَاهُ**»(١).

وَكَانَ عُمَرُ بْنُ سَعْدٍ هذا يُحِبُّ الإمارة، فَلَمْ يَزَلْ ذَلِكَ دَأْبَهُ - يحبُّ الإمارةَ -، حَتَّى كَانَ هُوَ أميرَ السَّرِيَّةِ الَّتِي قَتَلَتِ الْحُسَيْنَ بْنَ عَلِيٍّ - رضيَ اللهُ تعالى عنهما -، ولو قنِعَ بما كان أبوه عليه؛ لم يكنْ شيء من ذلك.

وَالْمَقْصُودُ أَنَّ سَعْدًا لَمْ يَحْضُرْ أَمْرَ التَّحْكِيمِ، وَلَا أَرَادَ ذَلِكَ، وَلَا هَمَّ بِهِ(٢). فصدقَتْ فراسةُ سعدٍ في ابنِهِ.

حتَّى قيل لهُ مالكَ ولهؤلاءِ؟ قال: إني عنهم لمتردِّدٌ، وما مرَّ بي قومٌ من العربِ أكرهُ إليَّ منهم. فكان منهم سودانُ بنُ حمرانَ، وخالدُ بنُ مَلجمٍ وكلاهما من البُغَاةِ على عثمانَ»(٣).

٥- المغيرةُ بن شعبةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ:

ومن ذلك: فِراسةُ المغيرةِ بن شعبةَ، وقد استعمله عُمَرُ على البحرين. فكرهَهُ أهلُها فعزلَهُ عُمَرُ، فخافوا أن يَرُدَّهُ عليهم. فقال دهقانُهم: إن فعلتم ما آمرُكم به لم يَرُدَّهُ علينا.

قالوا: مُرْنا بأمرِكَ. قال: تجمعون مائةَ ألفِ دِرْهَمٍ، حتَّى أذهبَ بها إلى عُمَرَ، وأقولَ: إن المُغِيرَةَ اختان هذا فدفَعَهُ إليَّ. فدعا عُمَرُ المغيرةَ، فقال: ما يقولُ هذا؟ قال: كَذَبَ، أصلحَك اللهُ، إنما هي مائتا ألفٍ. فقال: ما حملَكَ على ذلك؟ قال:

---

(١) رواه مسلم (١٠٥٤).

(٢) «البداية والنهاية» (٧/ ٣١٣).

(٣) «الطبري» (٤/ ٨٦)، و«العواصم من القواصم» لابن العربي (١٤١).

العيالُ والحاجةُ. قال عُمَرُ للدَّهقانِ: ما تقولُ؟ فقال: لا واللهِ، لأصدُقَنَّك. واللهِ ما دفعَ إليَّ قليلًا ولا كثيرًا، ولكن كرهناه، وخَشِينا أن تَرُدَّهُ علينا.

فقال عُمَرُ للمغيرةِ: ما حملَك على هذا؟ قال: إن الخبيثَ كذب عليَّ فأردتُ أن أخزِيَهُ[١].

فِراسةُ المغيرةِ في النساءِ:

خطبَ المغيرةُ بنُ شعبةَ وفتى من العربِ امرأةً، وكان الفتى جميلًا فأرسلت إليهما المرأةُ: لا بُدَّ أن أراكما، وأسمعَ كلامَكما، فاحضرا إن شِئْتما. فأجْلَسَتْهما بحيثُ تراهما. فعلم المغيرةُ أنها تؤثِرُ عليه الفتى، فأقبل عليه، فقال: لقد أوتيتَ حُسْنَا وجمالًا وبيانًا، فهل عندك سوى ذلك؟

قال: نعم. فعدَّدَ عليه محاسنَهُ، ثم سكتَ. فقال المغيرةُ: فكيف حسابُكَ؟ فقال: لا يَسقُطُ عليَّ منه شيءٌ، وإني لأستدرِكُ منه أَقَلَّ من الخردلةِ.

فقال له المغيرةُ: لكني أضعُ البَذْرةَ في زاوية البيتِ، فينفِقُها أهلُ بيتي على ما يريدون، فما أعلمُ بنفادِها حتَّى يسألوني غَيْرَها.

فقالت المرأةُ: والله لهذا الشيخُ الذي لا يحاسبني أحب إليَّ من الذي يُحْصي عليَّ أدنى من الخردلةِ فتزوَّجَتِ المغيرةَ»[٢].

٦- عمرو بنُ العاصِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

ومنها فِراسةُ عَمْرِو بنِ العاصِ لما حاصَرَ غَزَّةَ فبعثَ إليه صاحبُها: أن أَرْسِلْ إليَّ رجلًا من أصحابِك أكَلِّمْهُ.

---

(١) «الطرق الحكمية» (٤٣).

(٢) «المرجع السابق» (٤٤).

ففكَّر عمرو بنُ العاصِ، وقال: ما لهذا الرجُل غيري فخرجَ حتَّى دخلَ عليه، فكَلَّمَهُ كلامًا لم يسمعْ مثلَهُ قَطُّ. فقال لَهُ: حدِّثني، هل أحَدٌ من أصحابِك مثلُكِ؟

فقال: لا تَسَلْ، مِنْ هواني عندَهم بعثوني إليك، وعرَّضُوني لما عرَّضوني، ولا يدرون ما يُصنعُ بي.

فأمر لَهُ بجاريةٍ وكِسْوَةٍ. وبعثَ إلى البوابِ، إذا مَرَّ بكَ فاضرِبْ عُنُقَهُ، وخُذْ ما معهُ.

فمرَّ برجلٍ من نصارى غَسَّانَ فعرفَهُ. فقال: يا عمرو قد أحسنْتَ الدخولَ فأحسِنِ الخروجَ.

فرجَعَ، فقال له الملكُ: ما رَدَّكَ إلينا؟ قال: نظرتُ فيما أعطيتني فلم أجِدْ ذلك يَسَعُ من معي من بني عمي فأردْتُ الخروجَ فآتِيَكَ بعَشَرةٍ منهم تعطيهم هذه العطيَّةَ فيكونُ معروفُكَ عند عَشَرَةِ رجالٍ خيرًا من أن يكونَ عندَ واحدٍ.

فقال: صدقت عَجِّلْ بهم. وبعث إلى البواب: خَلِّ سبيلَهُ.

فخرجَ عمرو وهو يلتفِت، حتَّى إذا أمِنَ قال: لا عدتُ لمِثْلِها.

فلما كان بعدُ رآه الملكُ، فقال: أنت هو؟ قال: نعم، على ما كان من غَدْرِكَ[1].

٧- إياسُ بنُ معاوية رَحِمَهُ اللَّهُ:

يعـــاين أعقـــاب الأمـــور فِراســـة إياســـية تلتقـــي إليـــه وتهتـــفُ[2]

ولد إياس سنة ٤ هجرية وتوفي سنة ١٢٢ هجرية وقد تفرس حتى في وفاته إذ قال في العام الذي مات فيه رأيتُ كأني وأبي على فرس فجريا جميعًا ولم أسبقه ولم يسبقني

(١) «الطرق الحكمية» (٤٥).

(٢) «الوسيط في تراجم أدباء شنقيط» (١٩).

فعاش ستة وسبعين وأنا فيها فزوج إياس ابنه فقال: أتدرون أية ليلة هذه؟ هذه ليلة استكملتُ فيها عمر أبي ونام وأصبح ميتًا.

قال نُعَيمُ بنُ حَمَّادَ عن إبراهيمَ بنِ الرزوقِ البصريِّ: كُنَّا عند إياسَ بن معاويةَ، قبل أن يُستقضى، وكنا نكتبُ عنه الفِراسةَ، كما نكتبُ عن المحدِّثِ الحديثَ، إذ جاء رجُلٌ، فجلسَ على دكَّانٍ مرتفِعٍ بالمِزْبَدِ. فجعلَ يترصَّدُ الطريقَ.

فبينما هو كذلك إذ نزلَ فاستقبلَ رجلًا، فنظر في وجهِهِ، ثم رَجَعَ إلى موضِعِهِ، فقال إياسُ: قولوا في هذا الرجلِ. قالوا: ما تقولُ؟ رجلٌ طالبُ حاجةٍ. فقال: هو معلِّمُ صبيانٍ، قد أبَقَ له غلامٌ أعورُ فقام إليه بعضُنا فسألهُ عن حاجتِهِ؟ فقال: هو غلامٌ لي آبقٌ. قالوا: وما صنْعَتُك؟ قال: أعلِّمُ الصبيانَ. قلنا لإياسَ: كيف علمتَ ذلك؟ قال: رأيتُه جاءَ، فجعل يطلبُ موضعًا يجلسُ فيه، فنظر إلى أرفَعِ شيءٍ يقدرُ عليه فجلسَ عليه. فنظرتُ في قدرِهِ فإذا قدرُهُ ليس قدْرَ الملوكِ. فنظرتُ فيمَنِ اعتادَ في جلوسِهِ جلوسَ الملوكِ، فلم أجدْهم إلا المعلمين، فعلمتُ أنه معلِّمُ صبيانٍ. فقلنا كيف علمت أنه أبَقَ له غلامٌ؟ قال: إني رأيتُه يترصَّدُ الطريقَ، ينظر في وجوهِ الناسِ قلنا: كيف علمت أنه أعورُ؟ قال: بينما هو كذلك إذ نزلَ فاستقبلَ رجلًا قد ذهب إحدى عينيهِ، فعلمتُ أنه اشتبهَ عليه بغلامِهِ.

وقال الحارثُ بنُ مُرَّةَ: نظر إياسُ بنُ معاويةَ إلى رجلٍ. فقال: هذا غريبٌ. وهو من أهلِ واسِط وهو معلِّمٌ. وهو يطلبُ عبدًا له أبَقَ. فوجدوا الأمرَ كما قال. فسألوهُ؟ فقال: رأيتُهُ يمشي ويلتفتُ. فعلمتُ أنه غريبٌ ورأيتُهُ وعلى ثوبِهِ حمرةُ تربةِ واسطَ فعلمتُ أنه من أهلِها ورأيتُهُ يمرُّ بالصبيانِ فيسلِّمُ عليهم ولا يسلِّمُ على الرجالِ. فعلمتُ أنه معلِّمُ. ورأيتُه إذا مرَّ بذي هيئةٍ لم يلتفِتْ إليه، وإذا مرَّ بذي أسماكٍ تأمَّلَهُ، فعلمتُ أنه يطلبُ آبقًا.

وقال هلالُ بن العَلاءِ الرقيِّ عن القاسمِ بن منصورٍ عن عمرِو بنِ بكيرٍ: مرَّ إياسُ بنُ معاويةَ، فسمعَ قراءةً من عليَّةٍ، فقال: هذه قراءةُ امرأةٍ حاملٍ بغلامٍ، فسُئِلَ: كيف عرفتَ ذلك؟ فقال: سمعتُ بصَوتِها ونفسِها مخالطةً فعلمتُ أنها حاملٌ. وسمعتُ صَحلًا، فعلمتُ أن الحملَ غلامٌ.

ومرَّ بعد ذلك بكُتَّابٍ فيه صبيانٌ. فنظر إلى صبيٍّ منهم، فقال: هذا ابنُ تلك المرأةِ. فكان كما قال[١].

قال الناظم:

وشاعت الحكمة عن لقمان	وهكذا الخطبة عن سحبان
واشتهرت فراسة الأفراس	عن عامر والحذق عن إياس

٨- الشافعيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

كان الشافعيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ من أفرسِ الناسِ وكان قد قرأ كُتُبَ الفِراسةِ[٢] وله فيها اليَدُ الطُّولى كما يقولُ ابنُ القيمِ رَحِمَهُ اللَّهُ[٣].

---

(١) «الطرق الحكمية» (٣٩ - ٤٠).

(٢) قد تقدمَتْ حكايةُ الشافعيِّ مع الرجلِ الأزرقِ في بابِ فِراسةِ العيون فصلُ «الأزرقِ» فجدِّدْ بها عهدًا.

(٣) قاله ابنُ القيمِ في كتابِهِ القَيِّمِ «مفتاحُ دارِ السَّعادة» (٢/ ٢٢١) وقَال عَقَبهُ فحكَم في هذه القضيةِ وأمثالها بالفِراسةِ فأصابَ الحكمَ فظن الناقلُ أن الحَكَمَ كان يستندُ إلى قضايا النجومِ وأحكامِها وقد برَّأ اللهُ من هُو دون الشافعيِّ من ذلك الهذيان فكيف بمثل الشافعي رَحِمَهُ اللَّهُ في عقلِهِ وعلمه ومعرفته حتى يُرَوَّجَ عليه هذانُ المنجمين الذي لا يُرَوَّجُ إلا على جاهلٍ ضعيفِ العقل» وقال رَحِمَهُ اللَّهُ في (٢/ ٢١٩): «وأما ما نُسبَ إلى الشافعيِّ من حكمه بالنجومِ على عُمْرِ ذلك المولود فلقد نُسبَ الشافعيُّ إلى هذا العِلم وحَكمه فيه بأحكامٍ ليَعْجَزُ عَن مثلها أئمةُ المنجمين، وأظنُّ الذي غَرَّهُ في ذلك أبو عبدِ اللهِ الحَاكمُ؛ فإنَّهُ صنَّفَ في

وقال رَحِمَهُ اللهُ بعد أن ذكرَ حكايات الشافعيِّ مع الرَّجُلِ الأزرقِ: وقال الربيعُ: اشتريتُ للشافعيِّ طِيبًا بدينارٍ فقال لي: مِمَّن اشتريتَ فقلتُ من ذلك الأشقرِ الأزرقِ!

فقال: أشقرُ أزرق اذهب فَرُدَّهُ.

وقال الربيعُ: مَرَّ أخي في صحن الجامعِ فدعاني الشافعيُّ فقال لي: يا ربيعُ، انظرْ إلى الذي يمشي هذا أخوك.

قلتُ: نعم - أصلحَكَ اللهُ - قال: اذهبْ. ولم يكنْ رآه قَبْلَ ذلك.

قال قُتَيبةُ بنُ سعيدٍ: رأيتُ محمدَ بن الحسنِ والشافعيَّ قاعدين بفناءِ الكعبةِ فمرَّ رَجُلٌ فقال أحدُهما لصاحبِهِ: تعالَ نركز على هذا المارِّ أيَّ حرفةٍ معه.

فقال أحدُهما: هذا خياطٌ، وقال الآخر: هذا نجارٌ. فبعثا إليه فسألاهُ فقال: كنتُ خياطًا واليومَ أنْجُرُ أو كنتُ نجارًا واليومَ أخيطُ.

وقال الربيعُ: سمعتُ الشافعيَّ وقدمَ عليه رَجُلٌ من أهلِ صنعاءَ فلما رآه قال له: من أهلِ صنعاءَ؟ قال: نعم. قال: فحدادٌ أنت؟ قال: نعم.

وقال: كنتُ عند الشافعيِّ إذ أتاه رجلٌ فقال له الشافعيُّ: أَنَسَّاجٌ أنت؟ قال: عندي أَجراءُ.

وقال: كُنَّا عند الشافعي إذ مَرَّ به رَجُلٌ فقال الشافعيُّ: «لا يخلو هذا أن يكونَ حائكًا أو نجارًا.

= مناقبِ الشافعيِّ كتابًا كبيرًا وذكرَ علومَهُ في أبواب وقال: البابُ الرابعُ والعشرون في معرفته تسييرَ الكواكب من علمِ النجومِ وذكر فيه حكايات عن الشافعيِّ تدلُّ على تصحيحِهِ لأحكامِ النجومِ وكان هذا الكتابُ وَقع للرازيِّ فتصرَّفَ فيه وزادَ ونقَّصَ وصنَّف مناقبَ الشافعيِّ من هذا الكتاب على أن في كتابِ الحاكمِ من الفوائدِ والآثار ما لم يُلِمَّ به الرازيُّ والذي غَرَّ الحاكمَ من هذه الحكَاياتِ تساهُلُهُ في إسنادِها ونحن نبيِّنُهَا ونبيِّنُ حالَها ليتبَيَّن أن نسبةَ ذلك إلى الشافعيِّ كذبٌ عليه...» اهـ.

قال: فدعوناه، فقال: ما صَنْعَتُك؟ فقال: نجارٌ.

فقلنا: أَو غَيْرُ ذلك؟ قال: عندي غلمانٌ يعملون الثيابَ.

وقال حرملةُ: سمعتُ الشافعيَّ يقولُ: احذروا من كُلِّ ذي عاهةٍ في بدنِهِ؛ فإنَّهُ شيطانٌ قال حرملةُ: قلتُ: من أولئك؟

قال: الأعرجُ، والأحولُ[١]، والأشَلُّ[٢] وغيرهُ.

وقال: اشتهى الشافعيُّ يومًا عِنَبًا أبيضَ فأمرني فاشتريتُ له منه بدرهمٍ فلما رآه استجادَ فقال لي: يا أبا محمَّدٍ ممَّن اشتريتَ هذا فسميتُ له البائعَ فنحَّى الطبقَ من بين يديه وقال: رُدَّهُ عليه واشترِ لي من غيرِهِ.

فقلتُ له: وما شأنُهُ؟ فقال: ألم أَنْهَكَ أن تصحبَ الأزرقَ الأشْقَرَ[٣] فإنه لا يُنْجِبُ[٤] فكيف آكلُ من شيءٍ اشتريتَه لي ممَّن أنهى عن صحبتِهِ؟ قال الربيعُ: فردْتُ العنبَ على البائِع واعتذرْتُ إليه بكلامٍ حَسَنٍ واشتريتُ له عنبًا من غيرِهِ.

وقال حرملةُ: سمعتُ الشافعيَّ يقول: احذروا الأعورَ والأحولَ والأعرجَ والأحدبَ[٥] والأشقرَ، والكوسجَ[٦] وكلَّ من به عاهةٌ في بدنِهِ وكُلَّ ناقصِ الخلْقِ فاحذروه فإنه صاحبُ

---

(١) الأحول: من أحال عينَهُ وحوَّلها صيَّرها حولًا أي ذاتَ حَوَلٍ.

(٢) الأشلُّ: هو ما شُلت إحدى يديه.

(٣) الأشقرُ: لون الأشقرِ هي في الإنسانِ حمرةٌ صافيةٌ وبشرتُهُ مائلةٌ إلى البياضِ.

(٤) لا ينجبُ: لا يختار.

(٥) الأحدبُ: من الحَدَب وهو خروجُ الظهر ودخولُ الصدر والبَطْنِ.

(٦) الكوسجُ: الكوسجُ هُوَ الذي لا لحيةَ له أَصلًا أو الخفيفُ العارضُ ولم يبلغ حال الكوسج أو لحيتَهُ في الذَّقنِ أو بالعارضين شيءٌ.

لؤمٍ ومعاملتُهُ حسرةٌ. وقال مرةً أخرى: فإنهم أصحاب خِبٍّ[١].

وقال الربيعُ: دخلنا على الشافعيِّ عند وفاتِهِ أنا والبويطيُّ والمزنيُّ ومحمدُ بنُ عبدِ اللهِ بن عبد الحَكَمِ. قَال فنظرَ إلينا الشافعيُّ ساعةً فأطالَ ثم التفتَ فقال: أما أنت يا أبا يعقوبَ فستموتُ في حديدٍ يعني البويطيَّ وأما أنت يا مزنيُّ فسيكونُ لك بمصرَ هناتٌ وهناتٌ[٢] ولتدركَنَّ زمانًا تكون أقيسَ أهلِ ذلك الزمانِ، وأما أنت يا محمد فسترجعُ إلى مذهبِ أبيك، وأما أنت يا ربيعُ فانت أنفعُهم لي في نشرِ الكتبِ. قم يا أبا يعقوبَ فتسلَّم الحَلَقَةَ.

قال الربيعُ: فكان كما قال.

وقال الربيعُ: ما رأيتُ أفطنَ من الشافعيِّ لقد سمَّى رجالًا ممن يصحَبُهُ فوصف كلَّ واحدٍ منهم بصفةٍ ما أخطأَ فيها فذكر المزنيَّ والبويطيَّ وفلانًا فقال ليفعَلَنَّ فلانٌ كذا وفلانٌ كذا وليصحَبنَّ فلانٌ السلطانَ وليُقَلَّدَنَّ القضاءَ وقال لهم يومًا وقد اجتمعوا ما فيكم أنفعُ من هذا وأمأَ إليَّ؛ لأنه أمثلُكُمْ بأخيه وذكر صفاتٍ غيرَ هذهِ قال: فلما مات الشافعيُّ صار كُلٌّ منهم إلى ما ذكرَ فيه ما أخطأ في شيءٍ من ذلك[٣].

٩- شيخُ الإسلام ابنُ تيميةَ رَحِمَهُ اللَّهُ:

«لقد شاهدْتُ من فِراسةِ شيخِ الإسلامِ ابن تيميةَ رَحِمَهُ اللَّهُ أمورًا عجيبةً، وما لم أشاهدْهُ منها أعظمُ وأعظمُ، ووقائعُ فراستِهِ تستدعي سِفْرًا ضَخْمًا.

أخبرَ أصحابَهُ بدخولِ التتارِ الشَّامَ سنةَ تسعٍ وتسعين وستِّمائةٍ، وأن جيوشَ

(١) خب: الخب هو الخداع والخبث.

(٢) هنات: أي خصال سوء.

(٣) «مفتاح دار السعادة» (٢/ ٢٢٢ - ٢٢٣).

المسلمين تُكْسَرُ، وأن دِمَشْقَ لا يكونُ بها قَتْلٌ عامًا ولا سبيٌ عامًا، وأن لبَ الجيشِ وحدتَهُ في الأموالِ. وهذا قبلَ أن يَهُمَّ التتارُ بالحركةِ.

ثم أخبرَ الناسَ والأمراءَ سنةَ اثنتين وسبعمائةٍ لما تحرَّكَ التتارُ وقصدوا الشامَ أن الدائرةَ والهزيمةَ عليهم، وأن الظَّفَرَ والنَّصْرَ للمسلمين، وأقسمَ على ذلك أكثرَ من سبعين يمينًا، فيقالُ لَهُ: قل إنْ شاءَ اللهُ، فيقولُ: إن شاءَ اللهُ تحقيقًا لا تعليقًا.

وسمعتُهُ يقولُ ذلك، قال: فلمَّا أكثروا عليَّ، قلتُ: لا تُكثِروا، كَتَبَ الله في اللوحِ المحفوظِ: أنَّهم مهزومون في هذه الكَرَّةِ وأَنَّ النَّصْرَ لجيوشِ الإسلامِ، قال: وأطعمتُ بعضَ الأمراءِ والعسكرِ حلاوةَ النصرِ قبلَ خروجِهم إلى لقاء العدوِّ وكانت فراستُهُ الجزئيةُ في خلالِ هاتين الواقعتين مثلَ المطَرِ

ولما طُلبَ إلى الديارِ المصريَّةِ، وأُرِيدَ قتلُهُ - بعد ما أَنْضِجَتْ له القَدورُ، وقُلِّبتْ له الأمورُ: اجتمع أصحابُهُ لوداعِهِ، وقالوا: قد تواترت الكتبُ بأن القومَ عاملون على قتلِك. قال: واللهِ لا يَصِلُون إلى ذلكَ أبدًا، قالوا: أفَتُحْبَسُ قال: نعم، ويطولُ حَبسي، ثم أخرجُ وأتكلَّمُ بالسُّنَّةِ على رءوسِ الناسِ، سمعتُه يقولُ ذلك.

ولمَّا تولَّى عدوُّهُ الملقبُ بالجاشنكيرِ الملكِ أخبروهُ بذلك، وقالوا الآن بلغ مرادَهُ منك، فسجدَ للهِ شاكرًا وأطال، فقيلَ له:ما سببُ هذه السجْدةِ؟

فقال: هذا بدايةُ ذُلِّهِ ومفارقةُ عِزِّهِ من الآن، وقُرْبُ زوالِ أمرِهِ، فقيلَ: متى هذا؟

فقال: لا تُربَطُ خيولُ الجُنْدِ على القرطِ حتَّى تُغلبَ دولتُهُ؛ فوقعَ الأمرُ مثلَ ما أخبرَ به، سمعتُ ذلك منهُ.

وقال مَرَّةً: يدخلُ عليَّ أصحابي وغيرُهم، فأرى في وجوهِهم وأعينِهم أمورًا لا

أذكرُها لهم. فقلتُ له - أو غيري - لو أخبرتهم؟

فقال: أتريدون أن أكونَ معرِّفًا كمعرِّفِ الولاةِ؟

وقلتُ له يومًا: لو عاملْتَنا بذلك لكان أدعى إلى الاستقامةِ والصلاحِ.

فقال: لا تصبرون معي على ذلك جمعةً، أو قال شهرًا.

وأخبرني غَيْرَ مَرَّةٍ بأمورٍ باطنةٍ تَخْتَصُّ بي مما عزمْتُ عليه، ولم ينطقْ به لساني وأخبرني ببعضِ حوادثَ كبارٍ تجري في المستقبلِ، ولم يعيِّن أوقاتَها، وقد رأيتُ بعضَها وأنا أنتظرُ بقيَّتَها.

وما شاهده كبارُ أصحابِهِ من ذلك أضعافُ أضعافُ ما شهدتُهُ»[1].

١٠- عبدُ العزيز بنُ عبدِ اللهِ بنِ بازٍ رَحِمَهُ اللَّهُ:

كان الشيخُ عبدُ العزيزِ رَحِمَهُ اللَّهُ - ولا نزكِّي على الله أحدًا - صاحبَ بصيرةٍ نافذةٍ، وفِراسَتُهُ حادَّةً، يعرفُ ذلك جيدًا من عاشرَهُ وخالطَهُ، وأخذ العلمَ على يديهِ. ومما يدلُّ على فِراسَتِهِ:

أنه يعرفُ الرِّجالَ وينزلُهُم منازلَهم، فيعرفُ الجادَّ منهم في هدفِهِ ومقصدِهِ من الدُّعاةِ وطلبةِ العلمِ، فيكرمُهم أشدَّ الإكرامِ، ويقدِّمُهم على مَنْ سواهم، ويخصُّهم بمزيدٍ من التَّقدير، ويسألُ عنهم وعن أحوالِهم دائمًا، وله فِراسةٌ في معرفةِ رؤساءِ القبائلِ، والتَّفريقِ بين صالحِهم وطالحِهم، وله فِراسَةٌ - أيضًا - في ما يُعْرَضُ عليه من المسائلِ العويصَةِ، والمشكلاتِ العلميَّةِ، فتجدُهُ فيها متأمِّلًا متمعِّنًا لها، تُقْرأ عليه عِدَّةَ مرَّاتٍ حتَّى يفُكَّ عقدتَها، ويَحُلَّ مشكِلَها، وله فِراسَةٌ - أيضًا - في ما يتعلَّقُ بالإجابةِ

(١) «مدارج السالكين» (٣/ ٣٦٨ - ٣٧٠).

عن أسئلةِ المستفتين فهو - دائمًا - يرى الإيجازَ ووضوحَ العبارةِ، ووصولَ المقصَدِ، إن كان المستفتي عامِّيًّا من أهلِ الباديةِ، وإن كان المستفتي طالبَ علمٍ حريص على التَّرْجيحِ في المسألةِ، أطالَ النَّفَسَ في جوابِهِ مع التعليلاتِ وذِكْرِ أقوالِ أهلِ العلمِ وتقديمِ الأرجحِ منها، وبيانِ الصوابِ بعباراتٍ جامعةٍ مانعةٍ»[1].

(١) «مسيرة عطاء» عن الموقع الرسمي للعلامة ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ.

الخاتمة

لَـوْ لَـمْ يفـضَّ عـنِ الكتـابِ ختامـهُ أغْنَـاهُ طَيِّـبُ نَشْـرِهِ أن يُنْشَـرا[١]

وَبَعْدُ فَهَذا جَهْدُ مُقِلٍّ، بَذَلْتُ فيهِ جَهْدًا، وأَفْرَغْتُ فِيهِ وَسْعًا وأَرَدْتُ بِه خَيْرًا، فإنْ تَحَقَّقَ المرادُ فَهُو مِنْ تَوْفِيقِ اللهِ وَهِدايَتِهِ وإِعَانَتِهِ وتَسْدِيدِهِ، وإنْ كَانَتِ الثَّانِيَةُ فمَا ذَاكَ عَنْ قلَّةِ احْتِفَالِ بالتَّقْصير ولَكِنَّ النَّفْسَ والشَّيْطَانَ مُسْتَولٍ غَالِبٌ، نَسألُ اللهَ الكَرِيمَ السَّمِيعَ المُجِيبَ أنْ يَكْتُبَ لِكتابِي هذَا ولجميعِ كُتُبِي القُبُولَ وَيَضَعُ فِيها البركةَ إنَّ رَبِّي عَلى كُلِّ شيءٍ قَدِير.

هَـذا كتـابٌ قـيمٌ ألقـى بِـه نيـرانُ صَـبْوتِهِ وبـرد سـلامِهْ
طَوَّيْـتُ عَلـى قَلْبِـي صـفائح طرسـهُ وسـوادُ عينـي كـانَ مِسْـكَ خِتَامِـهْ[٢]

(١) ديوانُ أبي حيوس (٥٧٠).
(٢) ديوانُ اليازجيِّ (١٧٤).

الفهرس

الطبعة الثانية ٥

مُقَدَّمَةُ الطَّبْعَةِ الثانيةِ ٦

تعريفُ الفِراسَةِ ٧

أقسامُ الفراسةِ ٧

الفِراسةُ في القرآن ١٠

الفراسةُ في السُّنَّةِ ١١

الفراسَةُ عند العَرَبِ ١٢

الفِراسةُ في الأمثالِ والحِكَمِ ١٣

الفِراسةُ علمٌ عربيٌّ ١٥

فيمَنْ تَفَرَّسَ في صبيٍّ أمرًا فكان كما تفرَّسَ ١٦

الفِراسةُ علمٌ قائمٌ بذاتِهِ ١٨

حاجةُ الناسِ إلى الفِراسَةِ ١٩

١- العلماءُ والمربُّون ١٩

٢- الدعاةُ إلى اللهِ ١٩

٣- الأمراءُ والحكامُ ٢١

٤- رجالُ الأَمْنِ ٢٢

٥- القُضَاةُ ٢٢
٦- الأطباءُ ٢٣
٧- أصحابُ تأويلِ الرُّؤْيا ٢٣
الأسبابُ المعينةُ على الفراسةِ الإيمانيةِ ٢٦
١- الإيمانُ باللهِ ﷻ ٢٦
٢- الإخلاصُ ٢٦
٣- تقوى اللهِ ٢٧
٤- اتباعُ السُّنَّةِ ٢٨
٥- طهارةُ القلبِ من الشَّهواتِ والشُّبُهاتِ ٢٩
٦- تفريغُ القلبِ من همومِ الدنيا ٣١
٧- اجتنابُ المعاصي ٣٢
٨- مخالفةُ الهوى ٣٢
٩- التقرُّبُ إلى اللهِ بالنوافِلِ ٣٣
١٠- الإكثارُ من ذكرِ اللهِ ٣٤
١١- الأخلاقُ الْحَسَنَةُ ٣٥
١٢- الصدقُ ٣٦
١٣- تحري الحلالِ ٣٦

١٤- مراقبةُ اللهِ..... ٣٧
١٥- غَضُّ الْبَصَرِ..... ٣٨
موانعُ اكتسابِ الفراسةِ **٤٠**
١- المعاصي..... ٤٠
٢- إهمالُ تزكيةِ النفسِ..... ٤٠
٣- الكذبُ ٤١
٤- الغفلةُ..... ٤٢
الفراسة الخَلْقيةُ الكسبيَّةُ **٤٤**
كيفيَّةُ التَّفَرُّسِ **٤٦**
قواعدُ بينَ يَدَيِ الفِراسةِ الخَلْقيَّة **٤٧**
١- معرفةُ أصلِ الفِراسةِ الخَلْقيَّةِ..... ٤٧
٢- معرفةُ أن الطباعَ قد تَتغيرُ..... ٤٧
٣- الأُلْفَةُ..... ٤٨
٤- الجمعُ بين علاماتِ الفِراسةِ..... ٤٩
٥- يحكمُ لأقوى العلاماتِ وأظهرِها..... ٤٩
صورٌ من الفراسة **٥١**
١- فراسة المحبة..... ٥١

٢- فراسةُ تحسين الألفاظِ..... ٥٩
٣- فِراسةُ الْعُيُونِ..... ٦١
٤- الحاجبانِ والجبينُ..... ٩٤
٥- فراسةُ العُمْرِ..... ٩٥
فراسةُ الأغنياءِ..... ١٠٢
الفِراسةُ في القضاءِ..... ١٠٤
استخراجُ الحقوقِ بالفِراسةِ..... ١٠٤
السلفُ يَسْتخرجون الحقوقَ بالفِراسةِ..... ١٠٥
عجيبةٌ للمعتَضِدِ..... ١١٢
عجيبة لابنِ طولونَ..... ١١٤
القضاءُ فَهْمٌ..... ١١٨
صورٌ من المُتَفَرِّسين..... ١٢٠
١- النبيُّ ﷺ..... ١٢٠
٢- صورٌ من تفرُّسِه ﷺ في أصحابِهِ..... ١٢١
المُتَفَرِّسُون..... ١٢٢
٢- أبو بكر الصديقُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ..... ١٢٢
٣- عمرُ بنُ الخطابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ..... ١٢٣

٤- سَعْدُ بنُ أبي وقَّاصٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ١٢٦
٥- المغيرةُ بن شعبةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ١٢٧
٦- عمرو بنُ العاصِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ١٢٨
٧- إياسُ بنُ معاويةَ رَحِمَهُ اللَّهُ ١٢٩
٨- الشافعيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ ١٣١
٩- شيخُ الإسلامِ ابنُ تيميةَ رَحِمَهُ اللَّهُ ١٣٤
١٠- عبدُ العزيزِ بنِ بازٍ رَحِمَهُ اللَّهُ ١٣٦
الخاتمة ١٣٨
الفهرس ١٣٩